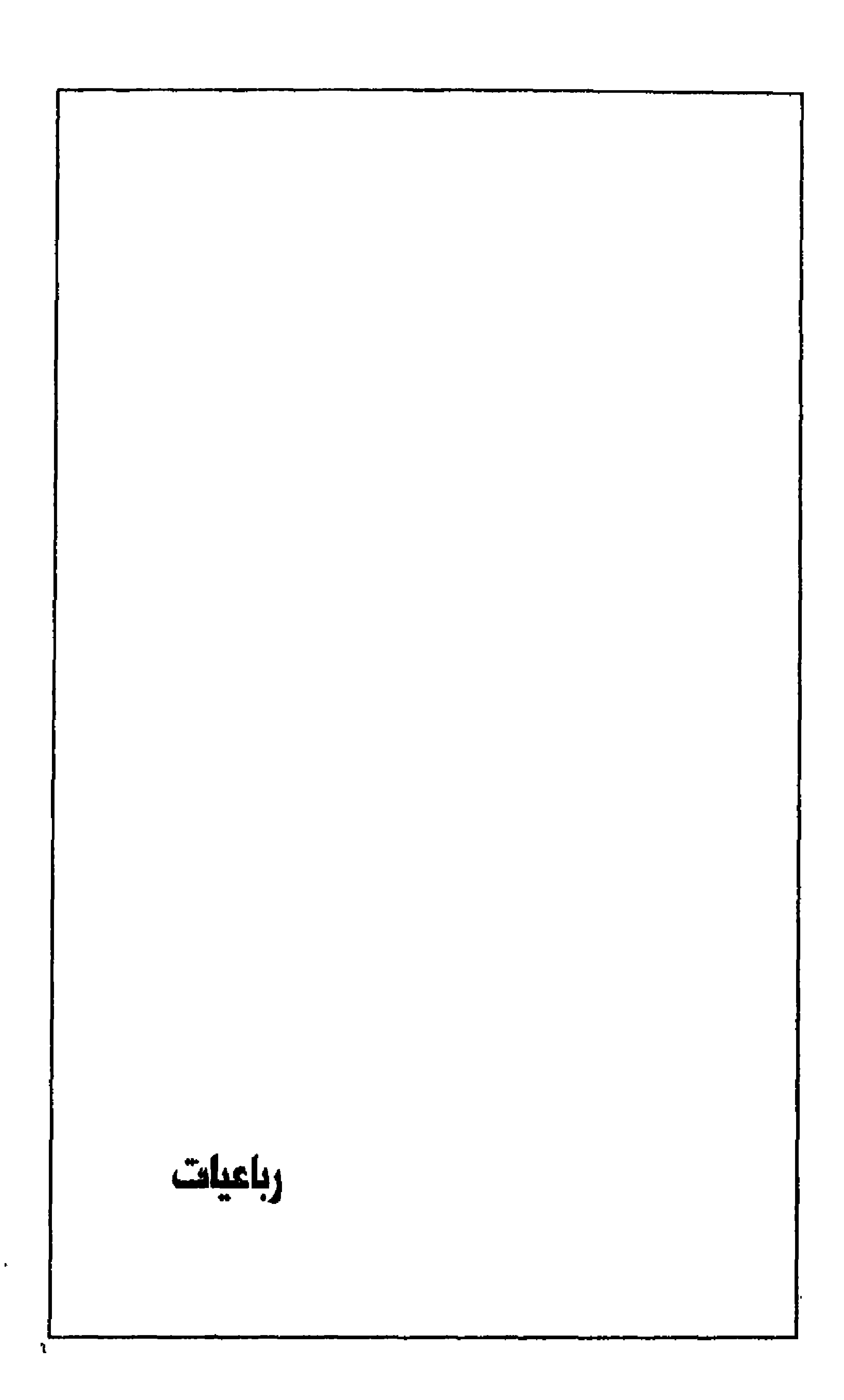


مكتبة الأسرة
الروائع
مهرجان القراءة للجميع 1996
رباعيات
صلاح جاهين
تقديم: يحيى حقى
الهيئة المصرية العامة للكتاب



رباعيات



مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العربى)

رباعيات
صلاح جاهين

الرسوم الداخلية
للفنان آدم حسنين

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

رباعيات

صلاح جاهين

تقديم يحيى حقى

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع.نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وايضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن ياخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سميرسرحان

مقدمة

الرباعيات هى أحب قوالب الشعر عندى لأنها تعين على نفى الفضول وعلى التحرر من أسر القافية، فتجئ كل رباعية بمثابة الومضة المتألقة، أو بمثابة الحجر الكريم، قيمته فى اختصاره الى قلبه وصقله لا فى كبر حجمه.

وقد يتوهم المتعجل أن أضعف بيت فى الرباعية هو بيتها الثالث غير المقفى، ولكنه فى نظرى عمادها. ففى البيتين الأول والثانى عرض لأوليات الموقف، وفى البيت الثالث ارتفاع مفاجىء الى قمة. قد تبدو للنظرة الأولى أنها جانبية ليتبعه فورا من شاهق كأنه طعنة خنجر يختم بها البيت الرابع فصول المأساة. البيت الرابع هو دقة المطرقة على السندان بعد أن كانت مرتفعة فى الهواء لذلك أكره للبيت الرابع أن يجئ على صيغة الاستفهام لأن حبله محدود.

أسارع هنا لاستشهد برباعية فى هذا الديوان الصغير الحجم القوى الأثر كأنه «قنبلة يدوية» الذى اخرجه سنة ١٩٦٣ الفنان الشاعر الأستاذ صلاح جاهين باللغة العامية والذى يسعدنى اليوم أن أقدمه للقراء.

الرباعية السابعة تقول :

«خرج ابن آدم من العدم، وقلت ياه..

رجع ابن آدم من العدم وقلت ياه..

تراب بيحيا وحي بيصير تراب

الأصل هو الموت ولا الحياة؟

عجبي.»

فإني احس أن البيت الثالث ليس هو حركة الارتفاع، بل هو حركة السقوط، من شاهق هو الختام، والسؤال الذى جاء بعده لغو، يزيد من ضعفه أنه جاء على هيئة استفهام حبله محدود.

وينبغي كذلك أن لا يكون البيت الثالث استمرارا لعرض الأوليات الواردة فى البيتين الأول والثانى بل تتمثل فيه كما قلت حركة جانبية مفاجئة، وهى فى نظرى حركة ارتفاع ليتحقق بها طعنة الخنجر الذى يهوى بها البيت الرابع.

وهذا العيب يتمثل مع الأسف فى الرباعية الأولى لصلاح جاهين التى تقول:

مع إن كل الخلق من أصل طين

وكلهم بينزلوا مغمضين

بعد الدقايق والشهور والسنين

تلاقى ناس أشرار وناس طيبين

عجبي.

فالبيت الثالث هنا لغو لأنه استمرار فى العرض، لا تتمثل فيه حركة جانبية وزاد من ضعف هذا البيت الثالث أنه جاء على روى الرباعية مع أن الأصل فيه، وحلاوته، أن يكون على خلافها.

يؤسفنى أن أكون قد بدأت بالنقد. هكذا شاء استطراد الكلام. اصبر قليلا تجدنى من اشد المعجبين بصلاح جاهين وديوانه «الرباعيات»

الكمال الذى أنشده يتمثل فى الرباعية الآتية

«دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت

وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت..

وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا..

لكن حاجات أكتر بترفض تموت

عجبى..»

فى البيتين الأول والثانى عرض للأوليات، والبيت الرابع. دقة المطرقة ـ لم يتحقق أثره الا لأن البيت الثالث «الخارج عن الروى» قد خدعنا بتأكيده أن أشياء كثيرة تموت فى الشتاء. فإذا ابنا نفاجأ كأننا نسقط من شاهق أن أشياء أكثر ترفض أن تموت فى الشتاء.

وانظر أيضا إلى الرباعية الآتية:

«مرحب ربيع مرحب ربيع مرحبة

يا طفل ياللى فى دمى ناغى وحبا

علشان عيونك يا صغير هويت

حتى ديدان الأرض والأغربة

عجبى..»

فكلمة «هويت» فى البيت الثالث خادعة، يخيل اليك أن جاهين يحب القمر والزهور والجمال، ولكنه يفاجئك بعد هذا الارتفاع بهبوط من شاهق فإذا هو يحب كذلك ديدان الأرض واغربتها.

والضوابط التى ذكرتها لك ليست مانعة ـ ليس فى الفن قيود كالحديد ـ غلية الأمر أننى أفضل القالب الذى وضعته على غيره، لذلك ينبغى لك أن لا تأخذ فى رباعيات جاهين كل سؤال على أنه ينتهى بعلامة استفهام. إنه فى أحيان كثيرة ينتهى فى حقيقة الأمر بعلامة تعجب أشبه ما تكون بعلامة استفهام وهى ليست كذلك. فهذه الرباعيات لا ينطبق عليها تمحكي فى وصفها بالضعف لأن البيت الأخير ينتهى بسؤال، وكذلك لم أكره فى رباعيات أخرى كثيرة أن يكون البيت الثالث شطرة غير منفصلة عن شطرة البيت الرابع ويكون الختام مقسما على البيتين معا، وتكون الرباعية فى حقيقة الأمر ـ إذا كان المعنى هو القياس لا الوزن ـ ثلاثية.

فمن أمثلة علامة التعجب المختفية فى زى علامة استفهام: ـ

«وأنا فى الضلام من غير شعاع يهتكه
أقف مكانى بخوف ولا اتركه
ولما ييجى النور وشوف الدروب
أحتار زيادة: أيهم أسلكه؟
عجبى.»

فليس هذا باستفهام محتاج إلى جواب. لا معنى أن تقول له خد جوابك «خذ هذا الدرب اليمين» أو «هذا الدرب الشمال» أما فى سؤال «الأصل هو الموت ولا الحياة؟» فإنه قطعا يحتاج إلى جواب ولو بقولك: «لا أدرى»

ومن أمثلة الرباعيات التى التحم فيها البيت الثالث والرابع،

«غدر الزمان يا قلبى ما لهوش أمان
وحاييجى يوم تحتاج لحبة إيمان
قلبى ارتجف وسألنى أأمن بايه!
أأمن بايه محتار بقالى زمان
عجبى.»

ولكن هذه الرباعية وأمثالها تأسرك بجمالها الفاتن وبراعة لفظها ورقة معانيها وعمقها فيمتنع عليك أن تحس بأنها فى حقيقة الأمر ثلاثية.

والرباعيات هى أيضا أفضل القوالب للشاعر الفيلسوف الذى يريد أن يعرض علينا مذهبه، لا فى بحث فقهى أو فى تتابع منطقى بل فى ومضات متألقة. الديوان حينئذ يأخذ شكل العد الذى تنسلك فيه حبات من حجار كريمة مختلفة المياه ولكنها تنبع جميعا من معين واحد.

اياك أن تظن أنك تستطيع أن تتبين غوره، فهذا الحصى اللامع الذى تظنه فى متناول يدك إنما هو غارق فى قاع سحيق، وما قربه الا من خداع انكسار هو غارق فى قاع سحيق، وما قربه إلا من خداع انكسار الضوء فى الماء. الديوان هو حياة الشاعر ولكنه لا يعرض عليك أيامها بالتتابع بل يختار منها لحظاتها الفريدة. قد تقرأ أنت الديوان فى ساعة ولكنك تحس أنك عشت مع الشاعر طوال حياته الشعورية المديدة وإياك أيضا ان تغفل أن الصورة التى هى أمامك هى من جنس هذه الصور التى يختلف نطقها باختلاف زوايا النظر اليها هكذا علمنا عمر الخيام أمام الرباعيات الرباعية الواحدة تنبئ عن إقبال شديد على الحياة واكبار لها. وتعلق بها، وتنبئ فى الوقت ذاته عن الاستهانة بهذه الحياة واحتقارها لا تدرى أهى لذة حسية أم هى لذة روحية أمتفائل هو أم متشائم مؤمن هو أم كافر.

إن كانت الحيرة مؤلمة فليس هناك لذة تفوق لذة هذه الحيرة التى يلقيك عمر الخيام فى أحضانها أو بين مخالبها، ذلك لأنها ليست ناجمة من أنك تجد نفسك فى فراغ من حوله

فـراغ، بل لأنك فى قلب دوامـة تدور من حـولك لا تعـرف أين رأسـهـا من ذيلهـا، هذا هو عين الـخدر الذى يحبـه الكبـار الذين يركبون ارجوحة الصغار

وإذا كنت تمتعت بهذا الخدر على يد عمر الخيام فإنى قد تمتعت به أشد المتعة على يد صلاح جاهين. هذه الرباعيات هى صلاح جاهين، وصلاح جاهين هو هذه الرباعيات لذلك لم يجد غضاضة من أن يتخذ من نفسه هو مرجعا لكل رموزه، فقد وصف نفسه بأنه قرين مهرج السيرك لا تدرى هل هو يضحك أم يبكى.. هل هو مطمئن أم خائف هل هو مستسلم للحياة أم رافض لها .. هل هو يؤمن بالبشر أم يكفر، بالفناء ام البقاء.. هل يعطف على ضعف الإنسان أم يضيق به.. قد لا تعرف كيف تجيب على هذه الأسئلة. ولكنك ستعرف ولا ريب شيئا واحدا لا يمكن لك انكاره هو أنك لقيت عنده السعادة التى كنت تتمناها ولا تجدها: أن تقابل فنانا أصيلا لاحد لإنسانيته ورقته وصدق نظرته وعمقها، هو وحده الذى يجود عليك بفيض الكريم.

* * *

تنم رباعيات عمر الخيام عن أنها لم تتشكل الا بعد أن استقر ربها على رأى فلسفى فى الحياة، نضج عنده أولا وتحدد، ثم تكامل واتسق. وحتى إذا كان قوام هذا الرأى القاطع هو الحيرة، فإنها حيرة مقننة ثابتة، إنه المحور المرسوم من قبل الذى تدور عليه الرباعيات جميعها، كل واحدة منها

تقبس منه وتنعكس عليه، كل رباعية جزء فيه خصائص الكل، يكشفه ويعرف به، فلا نشعر ونحن نمضى فى قراءتها أننا نشهد تشيدا متعاقبا لبنيان لا نعرف كيف يكون إلا بعد تمامه. الرباعيات تتعلق بالرأى وحده دون صاحب الرأى، فليس فيها إشارة تنبئ عن شخصيته او هيئه أو صفاته

أما صلاح جاهين فقد كتب رباعياته منجمة، فى كل عدد من صحيفة أسبوعية واحدة، وما أظنه دار فى خلده أو فى خلدنا وهو يفعل ذلك أنه يعكس فى هذه الرباعية خصائص الكل لرأى فلسفى فى الحياة نضج واستقر فى ذهنه، بل خيل إليه - كما خيل إلينا - أنه ترك حبله على الغارب. ما وقع فى شبكته من صيد فهو قانصه، يستمد الرباعية مرة من عالم الفكر وحده، ومرة من مشاهدة المحسوس، ولا بأس عليه أن يشير أحيانا إلى شخصه فنعلم مثلا أن صلاح جاهين رجل بدين.

«بين موت وموت. بين النيران والنيران
ع الحبل ماشيين الشجاع والجبان
عجبى على دى حياه.. ويا للعجب
ازاى أنا - ياتخين - بقيت بهلوان
عجبى!..»

ولعله ذهل - كما ذهلنا نحن - حين جمع هذه الرباعيات أخيرا فى كتاب لا يزيد حجمه على حجم كف الصبى الصغير

فإن هذه النفثات المنجمة المتناثرة نطقت - وبعضها ينضم لبعض - بأنها جميعا وليد رأى فريد فى الحياة، له اتساقه وله بدنه الواحد رغم تعدد وجوهه لا تجد إلا عند صلاح جاهين. ومع ذلك فنحن لا نشعر أن هذه الرباعيات تدور حول محور مرسوم من سابق، بل تشهد وحيا منوعا لفكرة لم تتمركز، وظل يدور حولها.

فهذه رباعية تكتفى بتسجيل الواقع المحسوس:

«صوتك يا بنت الآيه كأنه بدن

يرقص يزيح الهم يمحى الشجن

يا حلوتى وبدنك كأنه كلام

كلام فلاسفة سكروا نسيوا الزمن

عجبى.»

ويخيل إلى أن صلاح كتبها بعد أن حضر مجلسا جمع بين الرقص والغناء.

ولكن الرباعيات شيدت فوق هذا الحجر البسيط تعبيرا فلسفيا عميقا تحول فيه الرقص من حركات مادية إلى رؤية عجيبة للحياة، نكاد نشهق لها. فنقرأ هذه الرباعية الجميلة التى بلغت من الفن ذروته:

«رقاصة خرسا ورقصة من غير نغم

دنيا.. يا مين يصالحها قبل الندم

ساعتين تهز بوجهها يعنى لا

يترجرجوا نهديها يعنى نعم

عجبى..»

وهذه رباعية محدودة الأفق، لعلها هى الأخرى مستمدة من لعب صلاح جاهين مع ابنه فى يوم عيد:

ولدى .. اليك بدل البالون ميت بالون

انفخ وطرقع فيه على كل لون

عساك نشوف بعينيك مصير الرجال

المنفوخين فى السترة والبنطلون

عجبى.»

يرفع صلاح فكرتها البسيطة التى تقابل مزاحها بابتسامة خفيفة الى مقام النظرة الشاملة: هيهات لنا أن نبتسم ونحن نقرأها:

«إنسان.. أيا إنسان ما أجهلك

ما أتفهك فى الكون وما أضألك

شمس وقمر وسدوم وملايين نجوم

وفاكرها يا موهوم مخلوقة لك؟

عجبى.»

لم يكربنى هذا التفاوت الملحوظ فى مستوى الرباعيات بل بالعكس فرحت به وشكرت لصلاح أن أتاح لى أن أشهد تشييد بنائه الفذ البديع من أساسه.

ذهلنا كثيرا حين رأينا الرباعيات قد كشفت، بعد اجتماعها، عن رأى واحد ينظمها. وذهلنا أكثر حين تبين لنا أنه ليس برأى سطحى أو ساذج لا يرتفع ماؤه رغم جماله وصفائه عن رسغ القد. أنه ليس بمثابة رد فعل كنقرة على وتر يستهلكها صداها الذى يموت سريعا ضعفا كأنه ازيز بعوضة ثم صمت وفراغ، بل هو ماء كالبحر الخضم الذى يصعب عليك أن ترى ساحله، أنه يبتلعك فتغوص فيه، وهيهات أن تصل إلى أعماقه، متعدد الأمواج والألوان. أن نقرة الوتر لها دوى مهول لاينقطع، تكاد تضع كفيك على أذنيك من شدة وقعه والحاحه. إنه كالغابة المتشابكة يتكشف لك عند كل خطوة منظر مختلف. أنت ماض فى سبيلك ولكنك ربما تكون قد ضللت الطريق من حيث لاتدرى وكأن الغابة تستدرجك عن عمد لتفنى بين أحضانها.

ولكنى أعتقد أن امتحان هذا الرأى أشد دخولا فى التحليل النفسى منه فى الفلسفة، فالصلة بين الرأى وصاحب الرأى وثيقة جدا، فالرأى هنا هو فى الحقيقة طبع ومزاج، وما قصد صلاح فى ظنى أن يقدم لنا مذهبا فلسفيا متكاملا يختص به، بل غاية مطلبه ولذته أن يكشف لنا عن معدن روحه، من وراء أستار شفافة ملونة كقوس قزح.

وقد يقف المستحيل او الجاف النيىء الإحساس عند بهرجة الألوان ولا يعداها ولعمرى إنه معدن فذ نفيس عقد غاية التعقيد كأنه اللغز. لذلك سيتحول كلامى عن الرباعيات الى أسرار تكوينه الذاتى الذى هو الأصل فى هذه الرباعيات.

وازعم لك أنى اهتديت ـ فيما يخيل إلى ـ إلى مفتاح اللغز. إلى الأرض التى أقيم البناء من فوقها فسترها الى طرف الخيط الرئيسى الذى لا يستقيم إلا به تتابعه وفك عقده، فهذا الخيط كرة متشابكة متداخلة ملتفة بحيث ينبهم عليك من أين تمسكه، وقد تقع على طرف فتجذبه فينتهى سريعا بين يديك، تاركا الكرة على حالها وسرها أنه منها ولكنه عنصر ثانوى لا يصل إلى قلبها.

ولكن حاشا لى أن أزعم أيضا أننى اهتديت الى الحق كله أو بعضه فما أبين الا عن رأى شخصى، كما يحتمل التصديق يحتمل التكذيب رغم الحجج التى وثقت بها، لأننى أحببت صلاح وخالطت شعوره بشعورى الى درجة التوحد والاندماج

* * *

أكرر هنا كلمة الذهول لأصف بها إحساسى حينما وجدت أن اثنتين من الرباعيات ـ مدسوستين بين أخواتهما ـ تنفردان عن بقية الكتاب انفراد العنصر الدخيل الغريب الذى لا مبرر لوجوده، لشدة تعارضه مع الأصل. تعجب من أين ولماذا جاء وما معنى وجوده.

الرباعيات كلها نزهة جميلة يخالط دعابتها حزن رقيق وأسى غير ممزق، لأنه يضع يده دائما فى يد الأمل. أما هما فصرختان أو لولتان بالليل البهيم يرتجف لها القلب. فبدأ منهما تفهم صلاح، بل قد نرتد معه إلى طفولته. إنه أولا خائف من الخوف، وهذا اقسى انواع الخوف. أسمعه يقول:

«سهير ليالى وياما لفيت وطفت

وفى ليلة راجع فى الضلام قمت شفت

الخوف. كأنه كلب سد الطريق

وكنت عاوز اقتله.. بس خفت.

عجبى!!»

الطفل يرى الكلب بالليل فيحس بالخوف يرج قلبه، ولكن صلاح لم يصادف فى طريقه كلبا، بل صادف الخوف ذاته، وقف أمامه وجها لوجه. الخوف هنا ليس شعورا داخل القلب، بل هو مخلوق حى له شخصه وكيانه أنه يطلع على الناس فيرونه رأى العين، لكن تحديقه فى صلاح شل قدرته على تبين ملامحه فلم يستطع أن يراه فى وهمه الا فى صورة كلب يسد الطريق. وهذا التشبيه المسعف هو ولا ريب من ذكريات الطفولة. أغلب الظن أنه يرجع إلى حادثة وقعت فعلا لصلاح فى طفولته. أدرك صلاح وهو يعانى الحياة أن الكلب الذى أخافه فى طفولته إنما هو رسول هزيل لمخلوق أشد هولا وإرهابا. ويعترف صلاح بصراحة أنه لم يقتحم الطريق، إنه

خاف من الخوف، فلم يقل فى نهاية الرباعية مثلا «قمت زغت».

وقد يوهمك صلاح فى هذه الرباعية أنه يروى لك لقاء عارضا حدث له ذات ليلة، دلالة متصورة على شخصه، وربما أوحى صلاح لك بأن هذه الدلالة تشمل كل الناس، نطاقها هم البشر وليس غير، وأن لا خوف حيث لا إنسان. ولكن لا، أن الخوف عند صلاح يرتفع الى مقام التفسير الشامل الكلى للكون كله، بنجومه وافلاكه وسديمه واجزم ان الرباعية التالية فريدة فى الشعر العربى كله، لا أعرف لها مثيلا فى روعتها وشد وقعها فى القلب، ولا فى رسم صورة للكون من خلال روية وليدة الزلازل والبراكين التى صحبت مخاض النشأة الأولى:

«كان فيه زمان سحلية طول فرسخين

كفين عيونها: وخشمها بربخين

ماتت، لكن الرعب لم عمره مات

مع أنه فات بدل التاريخ تاريخين

عجبى!!»

لا معنى لهذه الرباعية الا بالتفسير الذى أزعمه، وصلاح يصدر فيها عن فكرة الرجل البدائى، الذى يسارع الى تحويل الظواهر الكونية الى قوى شريرة تسكن العالم السفلى، تتمثل له فى شكل حيوانات أو حشرات مؤذية فالكون عند صلاح لايزال يثير الرعب كما آثاره يوم النشأة الأولى. انها انتهت

ولكن الرعب باق رغم مر القرون. الخوف يتمثل لصلاح فيراه فى صــورة كلب، والرعب يراه فى صــورة ســحليــة، والكلب والسحلية رمزان لهيمنة قوة الشـر الكامنة فى الكون، يقف الانسان أمامهما عاجزا مسلوب الارادة رغم ما يعتلج به قلبه من حب للحياة والخير والجمال.

ومن هنا تأتى الحيرة فى فهم الكون وقدر الانسان.

ولعل أول مشهد يراه الطفل عندنا يتمثل فيه التردد فى فهم الفرق بين العدم والوجود، بين الموت والحياة. هو ذيل السحلية حين ينهال عليه القبقاب فينقطع وينفصل عن الجسد. انه يظل ـ وهو الموت ـ يتلوى ويتحرك، يحدق فيه الطفل بعين مذهولة، وقد وقر فى نفسه أيضا أن السحلية ـ دون سائر الحيوان ـ تتكلم، فهى ترج لسانها على سقف حلتها فيصدر منها صوت كأنه تنادى به الناس، فيرد عليها أصحاب البيت قائلين: «صاحب البيت اسمه محمد» تشفعا بالرسول لدفع شرها وأذاها. فمخاوف صلاح جاهين مخاوف الطفل أو الرجل البدائى كامنة فى أعماق قلبه.

قلما نصادف كلمة الخوف، أو الرعب بعد ذلك فى الكتاب ولكننا نحس بأثرهما فى رباعيات قليلة أخرى لا يستقيم تفسيرها الا به. أنظر الى الرباعية التالية :

«ورا كل شباك ألف عين مفتوحين

وأنا وأنتى ماشيين يا غرامى الحزين

لو التصقنا نموت بضربة حجر

ولو افترقنا نموت متحسرين

عجبى!!».

هذه عيون يخاف منها صلاح، انها عيون القدر المترصد بالشر، الذى يفرق بين الحبيب وحبيبته. والشر هنا معناه أن لا مناص للانسان من الوحدة فى هذه الحياة، وأن اللقاء مؤجل ـ ان كان هناك لقاء ـ الى عالم الأرواح. أن صلاح يرتجف أيضا من الوحدة. ولعل صلاح وقت أن كان طفلا يلعب فى الحارة لم ينقطع عنه الاحساس بأن من وراء شباك البيت عينا تراقبه، أنها رغم حنانها تأسره وتقيده وتفسد عليه لعبه.

وصلاح خائف أيضا من شىء آخر، هو الفناء :

«أحب أعيش ولو أعيش فى الغابات

أصحى كما ولدتنى أمى وأبات

طاير.. حيوان.. حشرة.. بشره بس أعيش

محلا الحياة.. حتى فى هيئة نبات

عجبى..».

الخوف من العدم والفناء هو الذى يجعل لمجرد الوجود روعته وبهاءه. ولكن الرباعية توحى بأن صلاح لا يجعل كلمة «العيش» تعنى «الوجود» وحده، بل تغنى قبل كل شىء الفهم والقدرة على التمتع. انه ليس بفهم عقلى يختص به الانسان،

بل فهم فطرى غريزى يشاركه فيه الحيوان والنبات.

وأخيرا يكتب صلاح كل مخاوفه الأرضية والكونية فى رباعية واحدة:

«لو كان فيه سلام فى الأرض وطمان وأمن

لو كان مفيش ولا فقر ولا خوف ولا جبن

لو يملك الانسان مصير كل شىء

أنا كنت أجيب للدنيا ميت ألف ابن

عجبى!!».

هذه هى بلاوى الدنيا، يتوجها بلاء كونى هو عجز الانسان عن التحكم فى المصير.

وانظر الى كلمة الخوف التى اندست بين بلاوى الدنيا، فقد نطقت بدلالة لم تكن لتتبين الا على ضوء الرباعيتين من اللتين بدأت بهما حديث الخوف.

هذه هى بداية الخيط الذى سنفهم بفضله ـ وهو يقودنا ـ بقية الاسرار التى ينطوى عليها قلب صلاح جاهين ـ وهى شعوره بالخوف. ولولا هذه البداية لما استطعت وفقا لمنطق متسق ـ على الاقل فى تقديرى ـ أن أتتبع اتصال النمو الشعورى المنعكس من بقية الرباعيات رغم تبعثرها وقفزاتها وازدواج وجهها. فبخطوة متوقعة يسيرة ينتقل صلاح من الشعور بالخوف الى الشعور بشلل الارادة، فلا تفسير لهذا

الشلل الا بهذا الخوف المبدئى والبدائى. أنه شلل تام يكاد يشبه الموت، بل هو الموت بعينه :

«ودخل الربيع يضحك لقانى حزين

نده الربيع على اسمى لم قلت مين

حط الربيع ازهاره جنبى وراح

وايش تعمل الازهار للميتين

عجبى..»

صلاح لم يتحرك بإرادة ليقطف بيده أزهار الربيع، بل الربيع بجلالة قدره هو الذى تقدم اليه، ونادى عليه باسمه، ووضع الازهار جنبه، ومع ذلك لم يستطع صلاح أن يفتح فمه ويقول «من؟» أو يمد يده ليأخذ الازهار أو حتى يصوب اليها منخريه لشمها لأنه مشلول الارادة، يحسب نفسه من الاموات.

وبخطوة أخرى يسيرة متوقعة ينتقل صلاح فيمر من الشعور بشلل الارادة الى الشعور بالملل، اذ لا فهم لهذا الملل إلا اذا أرجعناه لشلل الارادة:

«أيوب رماه البين بكل العلل

بعد سبع سنين مرضان وعنده شلل

الصبر طيب. صبر أيوب شفاه

بس الاكاده مات بفعل الملل

عجبى..».

سأتكلم فيما بعد عن أن قيمة صلاح فى نظرى راجعة الى أنه يخاطب بغير افصاح ضمير القارىء بكل ما يختزنه من تراث دفين، ولكنى أراه فى الرباعية السابقة يهزأ بهذا التراث ويستبدل به صورة جديدة. فالمستقر فى ذهنى مثلا ـ شأنى فى ذلك شأن بقية العامة ـ أن أيوب ابتلى بمرض جلدى، وكان يدور على بيوتنا ونحن صغار باعة ينادون على عشب برى هو «رعرع أيوب» فكنا من كلمة «رعرع» وحدها نفهم أنه مصاب بقروح. رعرع هى نضارة الجلد وسلامته بعد برئه من قروحه. هى فى ذهننا مرهم مرطب يوحى بنضارة ورق الشجر فى الربيع، ونتصور أيوب أنه كان جالسا تحت شجرة. واذا أردت التأكيد من صدق هذا الشعور ـ الذى أسمه بالتراث الدفين ـ أعود للروايات التى وردت فى كتب التفسير فأجد بعضها ينص على أنه كان مبتلى بالجدرى، فصورة أيوب فى ذهنى هى صورة رجل منبوذ بالعراء، يتجنبه الناس حتى أقرب أقربائه، ولكنه ليس مشلول الجسم بل بالعكس أنه دائم الحركة يحك جلده بأظافره، وليس هو أيضا بمشلول الارادة، لأنه متعلق بالشفاء باصرار يثير الاعجاب والتقزز فى آن واحد، ولكن الكلام الذى قلته سابقا عن شلل الارادة هو الذى يفسر كيف أن صلاح حدد وعين مرض أيوب بأنه الشلل. وكلمة مشلول في هذه الرباعية توحى بأنه كان مشلول الجسم والارادة معا. وقد شفى أيوب عند صلاح ولكن.. الاكاده أنه مات بفعل الملل، الملل الذى هو وليد شلل الارادة. فأيوب هنا ليس النبى، بل هو الانسان الحديث كما يراه صلاح فى نفسه، وصلاح هنا متصل شعوريا ببودلير.

وانظر الى خفة الدم فى كلمة «فعل» فى هذه الرباعية، انها مقتبسة رأسا من قاموس العامية لا الفصحى.

أتجاوز عن الخطوة المتوقعة التالية لأقفز الى نتيجة بعيدة لهذا الشعور بالشلل والملل، لاننى أريد أن أفرغ من رباعية فريدة لا أحب أن أتناولها الا بإيجاز شديد.

وأرجو أن يكون ما وهبه الله لصلاح من قدرة صادقة هائلة على الدعابة قد قضى على سمها وبث الصلة اللعينة بينها وبين رباعيات الشلل والملل، أنها الرباعية التى أسميها ـ مكرها ـ رباعية النزعة الانتحارية، لاننى أفضل أن لا أرى فيها الا دعابة خالصة لا تؤخذ مأخذ الجد.

«الدنيا أوده كبيرة للانتظار

فيها ابن آدم زيه زى الحمار

الهم واحد.. والملل مشترك

ومفيش حمار بيحاول الانتحار

عجبى..»

والانتظار هنا يعنى كشوق الروح للخروج من سجنها واللحاق بملكوت الجمال المطلق، الجمال الالهى. وسنرى فيما بعد أن هذا التشوف كان وراء حزن صلاح وثورته على ضعف الانسان وفساد أصله، أنه تلهف على قدوم الحبيب، على الظفر بشىء جديد فى عالم رتيب، عالم مجنون أيضا، ولكن الكلمة

تخاطب كذلك ضمير القارىء فى مستويات أدنى. الانتظار من أهم بلاوى العالم الحديث، انتظار فى عيادات الاطباء، أمام مواقف الاوتوبيس، فى ذيل طابور أمام باب السينما، انتظار قدوم يوم القبض. وكلمة الانتظار هنا تعنى أن كلمة الملل التى تبعتها، اذ أصبحت الكلمتان عندنا مترادفتين وتأمل تكرار نغمة الملل فى هذه الرباعية أيضا.

وسنرى فيما بعد أننا لو استثنينا رباعية واحدة تتحدث عن العندليب ـ وأراهن أن صلاح لم ير العندليب قط بل لا يعرف ما هو شكله، ولكنه عنده طائر خرافى يمثل الرقة والجمال، أرقى من البلبل والكروان والهدهد، تلك الطيور التى تسبح فى جو هذا الوادى ويعرفها صلاح ـ أقول لو استثنينا هذا العندليب الخرافى سنجد أن الحيوان الذى ورد ذكره فى الرباعيات كلها هو الكلاب والخنازير والتماسيح والسحالى والدود. نضم اليها كلمة «الحمار» الواردة فى الرباعية السابقة، انها من جنسها. وهى توحى أيضا بشىء من الضجر والحنق يبعثان صلاح الى أن تكون له رفسة مثل رفسة الجواد العريق اذا وقع فى يد ظالم لا يرحمه ولا يحترم كرامته. هذا أيضا سنراه فيما بعد حين نتكلم عن استخدام صلاح لكلمة «طظ» أو «تف».

* * *

اذا ولجنا من أبواب ثلاثة متلاحقة فى دهليز مظلم هى أبواب الخوف والشلل والملل، أفضينا الى ميدان فسيح مترامى

الاطراف، ومع ذلك تظلله كله ـ رغم صغرها ـ ظل راية واحدة ترفرف فوق سارية عالية فى وسطه.. راية الحزن، من حرير أسود جميل شفاف، نسجته العذارى، والجفون مسبلة على النهود، بأصابع تتكتم رعشة الصبابة والحنان، تغار حاسة اللمس من حاسة النظر عند التطلع لهذه الراية من بعيد. انه الحزن الذى يجتره أهل الشرق بتلذذ وتنعم، يختلط عندهم بالتأسى على النفس أولا ثم على البشر كافة، لأن جذوره متصلة باعتقادهم فى القدر الذى لا مهرب منه. لن يخدعنا صلاح وهو يصف نفسه تارة بالبهلوان، وتارة بالمرح، فإن النغمة الغالبة على الرباعيات هى نغمة الحزن، لا لأن صاحبه قد مسته الحياة بضر فى صحته أو رزقه أو عواطفه، بل لعل الحياة كانت به شديدة الترفق، كريمة لم تبخل عليه بشىء ـ وانما هو حزن وليد التزمل فى هذا الكون المجهول وفى أسراره الغامضة، وليد الحيرة فى فهم وضع الانسان فيه، وهل هو مجبول على الشر، لا حيلة له فى جبلته. انه حزن سام يرتفع عن الأرض، طاهر كالبحر لا يعكره دنس، ولو كان جثة الكفر الذى تسلل واقتحم ثم عام وسبح فغرق، وان بقيت أواخر صرخاته تدوى فى الأذن: أنه حزن روح تتشوف للخلود لا حزن جسد يوقن انه فان، وصلاح يتأمل الكون، ويتأمل الانسان ولا يسفر هذا التأمل الا عن هذا الحزن الدفين.. انه لا يحس به فى نفسه وحده بل يراه فى كل العيون.

«أعرف عيون هى الجمال والحسن

وأعرف عيون تأخذ القلوب بالحضن

وعيون مخيفة وقاسية، وعيون كثير

وبنحس فيهم كلهم بالحزن

عجبى..»

آه .. كم أطال صلاح تأمل العيون لا بنظره بل بقلبه. أحس منها بشكلية الوجيع الابكم. ولكنه ليته أضاف الى عيون البشر عيون الحيوان أيضا!

الرباط الذى يجمع الناس جميعا عند صلاح هو رباط الحزن المكتوم، وقد بلغ من شيوع هذا الحزن أن أصبح مألوفا، وفقد بالتالى روعته وجلاله.

«يا حزين يا قمقم تحت بحر الضياع

حزين أنا زيك وايه مستطاع

الحزن ما بقالهوش جلال يا جدع

الحزن زى البرد.. زى الصداع

عجبى..»

أصبح علاج صلاح لهذا الحزن هو السخرية به، اذ هان قدره لشدة الفه به. ولكنه قبل ذلك يسخر من نفسه. لأنه رغم هو أن هذا الحزن فهو عالق به كأنه دودة علق لا يستطيع أن ينفضها عنه.

وسنرى فيما بعد أن خشبة النجاة التى يتعلق بها صلاح

هى السـخرية والدعابة.. سـخرية طيبـة غير لاذعـة، ودعـابة غيـر مروضـة ولا مـخلوعة العذار.

وهذه الرباعية تخـاطب التـراث فى ضـمـيـر القارىء، فـدلالة القمقم مستمدة من ألف ليلة وليلة، تذكرنا بقصـة العفريت الذى ظل دهورا طويلة مـحبوسـا فى قـمـقم فى قـاع البـحـر الى أن استنقـذه صـيـاد مـسكين. ولولا هذا التـراث لما أفـصـح النص اللغـوى وحـده عن الايحـاءات المقـصـودة منهـا. آه.. كم أنت انسـان يا صـلاح، حـتـى أنك لتـؤاخـى حـتى العـفـاريت وتنفق عليهم.

ولكن لماذا يحـتـضـن صـلاح جـاهين كل هذا الحـزن على صـدره العريض ومن فوقه لغز يبـتسم بسـخرية حلوة ودعـابة مـحببـة؟ أنه يمـر فى رباعـيـاته مـر الكرام بالهـمـوم المعـاشـيـة والاجـتـمـاعـيـة. انهـا خـارجـة عن مـجـال قلقـه واهتـمـامـاتـه، لا تسـتوقفه الا فلتة وقليلا، كدح الانسان فى سـبيل رزقه، خوفه من العــجـز عن تأمــين هذا الرزق ولو بأدنى حـد يصــون له أدميـتـه. حـرصـه على تملك حـريتـه وارادته بين أخـوانه داخل حدود بلده وخارجها لا جور منه أو عليه، المظالم الاجتماعية، لماذا كـان غنى وكـان فـقـر، تخـمـة ومـجـاعـة، علم وجـهل، مـا هذا القانون المثالى للمعاملات الفردية والاجتماعية ـ كل هذا يتركه صـلاح جـانبا ويكتفى فى رباعية واحدة بنفثة عميقة من صـدره العـريض تنبىء بأنه يحلم بوضـع مـثـالى، كـأنه بـعـيـد المنال، أن يسود فى الوطن والعـالم كله أمن وسـلام وطمأنينة وتعاطف.

«غمست سنك فى السواد يا قلم

عشان ما تكتب شعر يقطر آلم

مالك، جرا لك أيه يا مجنون.. وليه

رسمت وردة وبيت وقلب وعلم

عجبى..»

وليس معنى هذا أن صلاح يستصغر ضغط الهموم المعاشية، بل ينبغى للإنسان فى رأيه أن يتحرر منها ولكى يفرغ لهمومه الروحية ولكى يملك القدرة على تذوق الجمال، فهو فى رباعية فريدة يسخر بظرف وبرفق من أستاذه وأمام طريقته عمر الخيام لأنه لا يشغل نفسه بهذه الهموم المعاشية:

«ياللى نصحت الناس بشرب النبيت

مع بنت حلوة وعود وضحك وحديث

مش كنت تنصحهم منين يكسبوا

ثمن دا كله؟ والا يمكن نسيت

عجبى..»

وكذلك لا يحبس صلاح نفسه طويلا فى المجال الاخلاقى. انه لا يقول لنا ما الذى يحبه. العفة والوفاء والصدق لا ترد على لسانه، بل يقول لنا ما الذى يكرهه. انه يكره النفخة الكدابة. فالانسان عنده مثل بالون الاطفال، يكفى أن تلمسه

بسن أبرة حتى ينزل على فاشوش. صلاح يكره النفاق:

«حبيت.. لكن حب من غير حنان

وصحبت.. لكن صحبة مالهاش أمان

رحت لحكيم وأكتر لقيت بلوتى

أن اللى جوه القلب مش ع اللسان

عجبى..»

ويكره القسوة والاستغلال الظالم.

«قالوا الشقيق بيمص دم الشقيق

والناس ما هياش ناس بحق وحقيق

قلبى رميته وجبت غيره حجر

داب الحجر.. ورجعت قلب رقيق

عجبى..»

ولكن كرهه الاشد الذى يرجه رجا منصب على تعذيب الانسان لاخيه الانسان، فينحط دون مرتبة الوحوش الضارية، أنها تفترس لتاكل ولكنها لا تعذب لتتلذذ بالانتقام. وكأنما فقد صلاح بقية أمله فى أن يبذل الإنسان شيئا من جهده لعون أخيه، فكل مناشدته له أن لا ينقلب عليه هو الآخر وبلا تهون بجانبه الويلات التى يعانيها فى هذا الوجود المطبق عليه كأنه قيد من حديد ليست البلوى أنه لا يلين، بل لا يبين..

«أنا كل يوم أسمع.. فلان يعذبوه

أسرح فى بغداد والجزائر وأتوه

ما عجبش من اللى يطيق بجسمه العذاب

وأعجب من اللى يطيق يعذب أخوه

عجبى..»

* * *

يحصر صلاح نفسه اذن فى مجال الهموم الروحية. الانسان منذ تلبس روحه ببدنه لا ينفك يعانى من أسئلة كثيرة تلح عليه وترهقه فلا يجد لها جوابا رغم توالى الحقب وتقدم العلم وغزو الفضاء، لماذا ومن أين والى أين؟ وهب عقلا قد تتكشف له كل الاسرار الا سره. فما نفعه؟ كيف نصل الى معلوم بمجهول. هل الكون صدفة أم له خالق لا نعجز عن تصوره؟ كيف الوصول اليه؟ أناس فطاحل أجلاء انتهوا من جولتهم المضنية ينصحك أن لا وصول للايمان وأنت مفتح العين الا بأن تبدأ الرحلة وأنت مؤمن مغمض العينين، فكيف تكون النهاية هى البداية؟ وكيف يقود العمى الى الابصار؟ ما هو هذا الكون وما هى حكمة الوجود وما هى وظيفة الانسان فيه؟ أمجبول هو على الخير والطهر أم على الشر والنجاسة؟ هل يستطيع بقدرته الصادقة على استبطان أحسن النيات وعلى الارتماء فى أحضان الايمان والتشوق للخلاص والطهر والخير أن يزحزح ولقد قيد أنملة خط قدره أو سير نظام واحد

من أنظمة الكون أم يظل يقرع كل الابواب، كالشحاذ يسأل المحسن أن يعطيه فرصة أخرى، فالعمر قصير والمزالق جمة فلا تلقى له من نافذة ولو بكسرة جافة وتقول له النوافذ المغلقة: حل مشكلتك بنفسك وتحمل عبئك وحدك.

فصلاح يريد أن يلحق بركب الفلاسفة والمتصوفين. أنه يقف ويدور حول هذه الاسئلة، ولكن دون أن ينفذ الى لقبها ويستخلص لنفسه جوابا قاطعا.. فلا مفر لك أن تسأل نفسك بعد أن تفرغ من الرباعيات: «وهل أتى صلاح بشىء جديد؟» وسنرى الاجابة على هذا السؤال فيما بعد.

قد تنبىء بعض الرباعيات أنها لا تنفى عالم المثل الذى قال به أفلاطون، ولكن صلاح يرى أن هناك فصاما تاما واستحالة اتصال بين عالم المثل والوجود الحسى.

«يا قرص شمس ما لهش قبة سما

يا ورد من غير أرض شب ونما

يا أى معنى جميل سمعنا عليه

الخلق ليه عايشين حياة مؤلمة؟

عجبى..»

فأنت ترى أن الشمس موجودة ولكن ليست لها قبة، والورد موجود ولكن ليست له أرض. عالم المثل ملىء بالجمال ولكن الوجود الحسى معدنه الالم. لا عجب أن صلاح حين شق

طريقه وسط اللهاليب ليصل الى ينبوع الغرض الاسمى، ينبوع الحواديت، وجد الخنازير والكلاب تشرب منه:

«ينبوع وفى الحواديت أنا سمعت عنه

انه عجيب.. وفى وسط لهاليب: لكنه

شقيت كما الفرسان طريقى.. لقيت

حتى الخنازير والكلاب شربوا منه

عجبى..»

وقد تفسر هذه الرباعية بأن الفيض الاسمى لا يبخل فيجود حتى على الكلاب والخنازير ـ كل الاحياء عنده سواء، ولكن نغمة الرباعية تبطن خيبة الأمل. فصلاح لم يصل للينبوع الا بشق الطريق بجهد، وفى وسط اللهيب فرآه مبذولا لخنزير لم يبذل جهدا ولكلب لم تسقط للوصول اليه شعره من فروته:

ويقف صلاح من الجمال موقف المتردد، يتشوق الى درجة التحرق لبلوغ الجمال:

«تسلم يا غصن الخوخ يا عود الحطب

بيجى الربيع تطلع زهورك عجب

وأنا ليه يمضى ربيع وييجى ربيع

ولسه برضك قلبى حتة خشب

عجبى..».

متشوق للقاء الحبيب لأن الحبيب هو الجمال، أو قل هو وجه الله سبحانه : ـ

«ليه يا حبيبتى ما بينا دايما سفر

ده البعد ذنب كبير لا يغتفر

ليه يا حبيبتى ما بيننا دايما بحور

أعد بحر الاقى غيره انحفر

عجبى..».

ثم اذا به فجأة يكفر بهذا الجمال لأن الحياة عبث فى عبث.

«نسمة ربيع لكن بتكوى الوشوش

طيور جميلة بس من غير عشوش

قلوب بتخفق.. انما وحدها

هى الحياة كده؟ كلها فى الفاشوش

عجبى..».

* * *

وصلاح يؤمن أن الاصل فى الخلقة واحد ولكن المصير هو الذى يتغير. وأول رباعيته فى الديوان تقول :

«مع أن كل الخلق من أصل طين

وكلهم بينزلوا مغمضين

بعد الدقائق والشهور والسنين

تلاقى ناس اشرار وناس طيبين

عجبى..»

ويحسن بنا أن نقف عند كلمة «طين» فى البيت الأول، فهى قد تنبئ بأن صلاح يعتقد بأن الاصل معدن خسيس يمثل الشر، فى قلب كل انسان مضغة منه :

«يا مشرط الجراح أمانة عليك

وأنت فى حشايا تبص من حواليك

فيه نقطة سودة فى قلبى بدأت تبان

شيلها كمان.. دا الفضل يرجع اليك

عجبى..»

وانى أحب ـ كما قلت سابقا ـ فى رباعيات صلاح أنها تخاطب العميق من وجدان القارئ فهذه الرباعية نفهمها حق الفهم بوجداننا بفضل ما رسب فيه من تلاوة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد أنبأتنا أحاديث غير قليلة أن ملكين شقا قلب الرسول وهو صبى ليستخرجا منه مضغة سوداء. ومخاطبة الوجدان هو مجال هذا الشعر العباسى.

والدنيا كلها عند صلاح غارقة فى الشرور ولذلك فلا أمل لها فى الوصول الى بر النجاة:

«نوح راح لحاله والطوفان استمر
مركبنا تايه لسه مش لا قيله بر
آه من الطوفان.. وآهين يا بر الامان
ازاى تبان والدنيا غرقانة شر
عجبى..»

*** * ***

والانسان فى هذا الكون لا تزيد قيمته عن صفر.

«انسان أيا انسان ما أجهلك
ما أتفهك فى الكون وما أضالك
شمس وقمر وسدوم وملايين نجوم
وفاكرها يا موهوم مخلوقة لك
عجبى..».

وهو كذلك معدوم الحرية، عبد لشهواته ولو ذاق منها الأمرين :

«السم فى الهواء. منين يضر
والموت ولو لعدونا.. منين يسر
حط القلم فى الحبر.. وأكتب كمان
والعبد للشهوات.. منين هو حر
عجبى..»

ولعل الإنسان هو الذى جلب على نفسه كل هذه المصايب لأنه يريد أن يخضع الكون لمقاييسه كما نرى فى الرباعية التى أولها «انسان أيا انسان».

* * *

ويخرج صلاح من هذه الجولة المضنية وهو محنق. تجرى على لسانه الفاظ «طظ وتف» ويخرج أيضا وهو متشائم. فلو تمثل الجمال المطلق على شىء فمآله أن يفترسه الشر ويتضح أنه وهم.

«كروان جريح مضروب بشعاع من قمر

سقط م السموات فؤاده انكسر

جريت عليه قطة عشان تبلعه

اتاريه خيال شعرا ومالوش أثر

عجبى...».

ولكن صلاح يتشبث بخيط واه من الأمل، فالحياة عنده اصرار على الحياة رغم ما يحيط بها من أعباء وشرور، ومع ذلك ينتهى صلاح باعتقاده أنها فى نهاية الأمر انما تبطن شرا، فهو لا يتخلى عن تشاؤمه :

«دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت

وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت

وحاجات كثير بتموت فى ليل الشتا

لكن حاجات أكثر بترفض تموت

عجبى..».

يا للى أنت بيتك قش مفروش بريش

يقوى عليه الريح يصبح مفيش

عجبى عليك، حواليك مخالب كبار

ومالكش غير منقار وقادر تعيش

عجبى..».

ثم يسلم صلاح نفسه ـ لئلا تتحطم ـ الى السخرية الوديعة بالانسان، أنها غير قاسية، بل تنطوى على حنان وحب شديدين. وأكثر سخرية صلاح موجهة للمتعالين المتعنطزين، فلست أعرف فى كل الذى قرأت سخرية ألذع من هذه السخرية التى أجدها فى الرباعية التالية : ـ

«يا طير يا عالى فى السما طظ فيك

ما تفتكرشى ربنا مصطفيك

برضك بتاكل دود وللطين تعود

تمص فيه يا حلو.. ويمص فيك

عجبى..»

هل استقر صلاح واطمأن بعد تجاربه المزلزلة؟ أن سألته اليوم ما الذى تملك لما أجابك الا بقوله، لا أملك الا قلبا مليئا بالمحبة والتسامح ازاء ضعف الانسان.

«فتحت شباكى لشمس الصباح

ما دخلش منه غير عول الرياح

وفتحت قلبى عشان أبوح بالآلم

ما خرجش منه محبة وسماح

عجبى...».

ولكن.. بعد هذا كله هل أتى صلاح بشىء جديد؟.

* * *

هيهات أن تجد هذا الرجل فى الغرب، أؤكد لك أننى بحثت عنه ـ لأنى أحبه ـ حين عشت فى الغرب فلم أعثر عليه، ذلك أن موطنه هو الشرق موطن الصحراء الممتدة، والسماء الصافية، والنجوم اللامعة المنتشرة، وللكون لحن هو خليط همسها جميعا، ففى الشرق لقيت هذا الرجل كثيرا حتى ألفته وجلست الى جانبه مرارا فلم يحس بوجودى بل كنت أنا هذا الرجل أحيانا وأنا فى الشرق، فلما انتقلت للغرب اشتقت أن أكونه وحاولت فأخفقت، ولو قد نجحت وهزأ الناس من بواخى. أنه الرجل الذى يخلو لنفسه، تحسب أن ليس فى مواجهة الطبيعة كلها أحد غيره، ظهره محنى وكأنما فوقه أثقال، ورأسه

دان الى القلب كأنما ينصت لوشوشته وقد تكون في يده أحيانا عصى يخط بها على الأرض لغة لم تكتشف أبجديتها بعد ولكنه يظل صامتاء لا تدرى أهو سارح الذهن فى متاهات سحيقة. أم هو مستغرق فى التفكير، أعترضته فكرة فسلمت فعانقت فحضنت ـ كما نفعل فى الشرق ـ فاستوعبت فليس منها فكاك، وكلما طال الصمت اكتسي وجهه شيئا فشيئا بغلالة من الحزن، حزن رفيق غير مفترس، ليس له أنياب تنهش بل راحة يد كالقطيفة تربت بحنان.. يدل أطمئنان الرجل على أنه يجد لهذا الحزن الرقيق لذة تنتشَي بها روحه ويتحلب لها فمه. ثم فجأة يمصمص بشفتيه ويهز رأسه وينطق لنفسه ـ فلا أحد معه ـ بكلمة واحدة. هى تارة (دنيا) وتارة (حكم) ـ جمع حكمة ـ أين كان؟ ما هى تقدمات هذه الكلمة الواحدة ـ لا أحد يدرى. بل لعله هو نفسه لا يدرى، ولو نصب لهذا الرجل تمثال يكون توأم لكان خليقا أن يكون هو النبى الذى يطوف به فى الشرق ركب أهل التصوف والحكم المرسلة.. فكلهم يصدرون أول الأمر عن هذا الاستعبار والشوق الرقيق فاذا خبطهم الوجد تفرقوا كالطير المنطلق من محبس ولكل منهم صيحته المحترقة المجلجلة فى الفضاء، ولعل الكروان هو رمزهم حين يسبح ربه هاتفا (الملك) وهو طير موطنه الشرق أيضاً.. وقد لحق صلاح جاهين فى رباعياته بهذا الركب.. أنها أيضا وليدة الخلوة والاستعبار والحزن الرقيق، وضع قلبه على يده ومده الينا ـ وهذا هو فيض الكريم ـ وقال: كلوا من كنوزى.. تذوقوها تجدوها لذيذة ولكننا نقول له: قد أكلنا وشبعنا من هذه الكنوز

الى حد التخمة.. فهو لم يأت بجديد، أنه يجتر تراثه المنتقل اليه مع بقية أملاك الوقف التى أكل الدهر عليها وشرب حتى أصبح جلالها وسط العمارات الشاهقة المبنية بالاسمنت المسلح فى عصر الذرة نوعا من تحشم الشاكرين لربهم على الستر، وأصبح صوت تداعيها البطىء نوعا من أنين الذكريات ـ بل أن صلاح اكتفى بتسجيل اهتزازاته المباشرة كأنما يخشى أن يبح صوته من قبل أن ينطق، وهذه الاهتزازات المباشرة يحكم عليها أهل الغرب عادة بأنها فطرية بدائية سانجة، فهم يطلبون لصاحبها أن يصبر عليها حتى تستقر وتنظمها نظرة واحدة شاملة، تتصف بالعمق والاستيعاب، فلا تكون الطبيعة عندهم ـ كما هى عند صلاح ـ فرقا متجمعة، بل وحدة موزعة. فالأثر المتبقى فى النفس بعد قراءة الرباعيات أنها خدوش الأظافر فى الصخرة الصماء التى هى القدر.

ومما يزيد فى الشعور بفطرية هذه الرباعيات التى عامت فوق بحر التصوف دون أن تغرق فيه أن الاهتمامات الأولى لصاحبها ـ كما تفهم ـ هى البحث عن حلول مادية لمشكلات روحية. فليقل لنا صلاح على أى جنب يمضغ فكه.

غير انى لا أقول هذا الكلام الا لأننى أضعه فى كفة ترجحها كفة أخرى تجعل من الرباعيات عملا فنيا رائعا، فلاحد لاعجابى بها وحبى لها، لأن عصارتها هى الدم الذى يجرى فى عروقى منذ مولدى فى المهد الذى نشأ فيه حافظ وجلال الدين ورابعة العدوية ومحيى الدين وأبن الفارض.

وأول ما نجده في الكفة الراجحة هو تعبيرها الصادق الظريف الخفيف الدم عن مزاج ابن البلد في مصر ـ فصلاح ابن بلد مصفى، لم يفسده التعليم أو التثقيف بل زاده رقة على رقة ـ حتى جسمه ـ كما قلت مرة ـ يشبه بشدق نافخ في مزمار بلدى..

ويخيل اليك أن صلاح أخذ الدن المترب من عمر الخيام وصبه في قلة قناوى وضعها ـ وفي حلقها فلة أو وردة ـ على رصيف قهوته التي يشرب فيها التعميرة ساعة العصارى ليكرع منها ـ ولا حاجة للكوب ـ كل عطشان عابر سبيل.. وهذا ثواب مبجل ومضمون عندنا، ولكنك اذا دققت النظر في تخاريم شباك هذه القلة لوجدتها آية في الصنعة الباهرة والزخرفة الجميلة، شباك أين منه دنتلا البندقية. وقد زهقنا أشد الزهق ممن يكتبون لنا بأساليب لا تمت الى مزاجنا بأدنى سبب، كأنهم وهم يؤلفون يترجمون عن لغة أقوام آخرين، ذلك لأنهم يكتبون بلغة القواميس لا بلغة قلوبهم ولا يفرقون بين الاسلوب الفنى وأسلوب موضوع الانشاء الذى لابد أن يبدأ بجملة (خلق الله الانسان). واذا لم يصل أدبنا الى التعبير عن مزاج أهله فانه سيظل ـ ولله الحمد ـ كالماء الصافى لا طعم ولا لون ولا رائحة.

ولا تحسبن أن سبب صدق تعبير صلاح عن مزاج ابن البلد راجع الى أن الرباعيات مكتوبة بالعامية. فالمضمون فيها طغى على الشكل اللغوى حتى محاه ولا أخجل من الاعتراف

بأننى لم أكن أحس وأنا أقرأ الرباعيات أنها مكتوبة بالعامية، ذلك أن صلاح قبل أن يكون ابن بلد مصفى هو الفنان المصفى الاصيل المتعدد المواهب، هو الفنان بشخصه وفى ذاته ولو لم يخط حرفا واحدا، فكل ما يصدر عنه هو فيض ـ فيض الكريم.

ومن أمثال صلاح ينشأ فى كل بلد (مجتمع الفنانين) الذين يعادون البورجوازية ويصادقون الاشراف والشحاذين على حد سواء، فهل هو موجود لدينا؟ لقد مر الزمن الذى كان الاتصاف فيه (بالبوهيمية) جواز مرور لقهوة الفن.. أنما بحثنا اليوم هو عن أصحاب الامزجة الفنية الموهوبين، حتى ولو لم يخطوا حرفا واحدا.. لى صاحب منهم تغنينى جلسة قصيرة معه بما لا تغنينى قراءة ألف كتاب، وربما كففت عن قراءة أنتاج أحد المؤلفين لأننى قالته فرأيت واحسست أنه جلف غليظ القفا، حتى لو كتب الروائع، يفتح الله.. فليست المسألة فى الرباعيات هى بأى لغة كتبت، بل ماذا قال صاحبها. وأنا واثق أن صلاح لو كتب باللاوندى لفهم القارىء أن المؤلف ابن بلد فى مصر.

والميزة الثانية أن صلاح سمح لنفسه أن يحدثنا عن نفسه، عن صفاته وأوهامه ومخاوفه ونوع النكتة التى يحبها، فهو لم يثقل علينا بنظريات مجردة، بل قدم لنا ترجمة ذاتية تنبض بالحياة.

وأستطرد هنا كذلك وأقول أن صلاح بعمله هذا لم يكتف بتقديم النتائج، بل جعلنا نصحبه فى كل خطوة يخطوها فكأنه

جعلنا نطل على عقله وهو يعمل.. وأغلب المؤلفين عندنا لا يسمحون لنا أن نطل على عقولهم فهم يأتون لنا بالنتيجة النهائية ـ على بلاطة ـ كأنما نزلت عليهم من السماء نزول المن والسلوى، فاذا أكلناها وجدناها مفقودة العصارة كأنها مصاص القصب، كأنهم يخشون أن يقال اذا كشفوا سيرهم المتردد المتخبط بأنه نوع من التعرى، ومن أوجه هذه الظاهرة أن أدبنا يكاد يكون خلوا من وصف أزمات الضمير، فلا عجب أن كتب شبابنا بأسلوب لا تفرق بينه وبين أسلوب الشيوخ.. وأسلوب صلاح فى الرباعيات هو أسلوب صلاح، بل هو صلاح نفسه.

كتب صلاح بالعامية - عامية انيقة رشيقة ولكنه طعمها بألفاظ وتراكيب غير قليلة من الفصحى، فصلاح ابن بلد معه (الانس) بل استعار من الفصحى حركة التنوين ليجعلها نونا ساكنة في قافية احدى رباعياته.

عجبى عليك، عجبى عليك يا زمن

يابو البدع يا مبكى عينى دما

ازاى أنا اختار لروحى طريق

وأنا اللى داخل في الحياة مرغما

عجبى..

فجاء هذا النطق وسط العامية تعبيرا صادقا حلوا عن مزاج ابن البلد حين يتسلطن يقول صلاح فى هذه الرباعية (أنا

اللى) ويقول فى رباعية أخرى (أنا الذى) لأن الذى يقوده ليست هى اللغة بل النغمة..

واللغة العامية مملوءة بمطبات كثيرة وجلدها سريع التحول من النعومة إلى الخشونة بحيث يحق لمن يتأملها أن يؤمن بأنها تتأبى أن تنقاد وتدخل فى قيود بحور الشعر.. هى لغة فى صميمها فوضوية.. خذ مثلا النفى بحرف الشين الساكنة فى ذيل فعل ماض آخر حرف فيه ساكن أيضا لأنه مجزوم بكلمة (ما) الواردة قبله. وأنت تعلم أننا نكره التقاء الساكنين. انظر مثلا هذه الرباعية.

ياما صادفت صحاب وصاحبتهمش

وكاسات خمور وشراب وما اشربتهمش

أندم على الفرص اللى أنا سبتهم

والا على الفرص اللى ماسبتهمش

عجبى..

انظر كيف تثقل كل قافية على النطق لو أخذت وحدها وبالاخص كلمة (ما سبتهمش) ويكاد الفم وهو ينطقها يتكور كفم القمع ويمتد السكون على حرف السين الى نوع من وش الصفير ليحل محل الحركة التى يتطلبها التقاء الساكنين.

وقد عرف صلاح كيف يضع على جميع المطبات قناطر يعبر فوقها برشاقة رغم بدانته وحمله الثقيل من كراكيب

العامية، حتى رباعية النفى بالشين حين تقرأها خبطة واحدة تشربها فى شىء من السهولة دون أن تقف فى الزور ـ ذلك أن الذى يقوده هو أذن شديد الحساسية بالنغم ولعل السبب أن قالب الرباعية الأصيل قد استولى عليه وخبطه وعلمه حسن الأدب، اذ ينبغى أن أعترف أن بعض قصائده المطولة التى نشرها فى الأهرام بامضاء (ص. ج) وهى مكتوبة بالعامية تبدو للسانى وأذنى وحتى لعينى ـ خالية خلوا تاما من النغم، فلا أعرف هل هى شعر أم نثر. ان كانت شعرا فهى أردأ الشعر وأن كانت نثرا فهى أحط النثر، أنها حطام لا كيان. لقد كان قلب الرباعيات بمثابة قيثارة من صنع ستراديفاريوس فأمدت العازف البارع صلاح بما لا يجود به غيرها وبما لا تجود لغيره. كم أتمنى أن يلتقى الشعراء عندنا الى قالب الرباعيات فلو بعثوه من مرقده لانقذهم من حيرتهم وجمودهم وفك عنهم أسر القوافى المطولة كذيل ثوب الزفاف فى أفراح الاثرياء. يحتاج الى عشرين صبية لحمه.

والنغمة العامية لها أيضا جذب شديد لا الى أعلى بل الى أسفل، الى الابتذال وقد عرف صلاح كيف يتفادى هذا الابتذال بفضل رقة حسه ومزاجه وكرهه لكل ما هو غث وغليظ وثقيل ـ كل ما هو عفن وقليل الحياء ولكنك اذا سمحت لاعصابك المخدرة بسحر هذه الرباعيات أن تبرد قليلا فقد يختلط عليك الأمر فى بعض الاحيان فتبدو لك اللفتة البارعة كأنها نكتة مبتذلة :

بره القزاز كان غيم وأمطار وبرق

ما يهمنيش - أنا قلت - ولا عندى فرق

غيرت رأيي بعد ساعة زمان

وكنت فى الشارع وفى الجزمة خرق

عجبى..»

فلو غيرت كلمة عجبى بكلمة (انزل) لصلحت هذه الرباعية ان تدخل فى ريبرتوار شكوكو العظيم.

لم يهدد أحد اللغة الفصحى كما هددها صلاح.

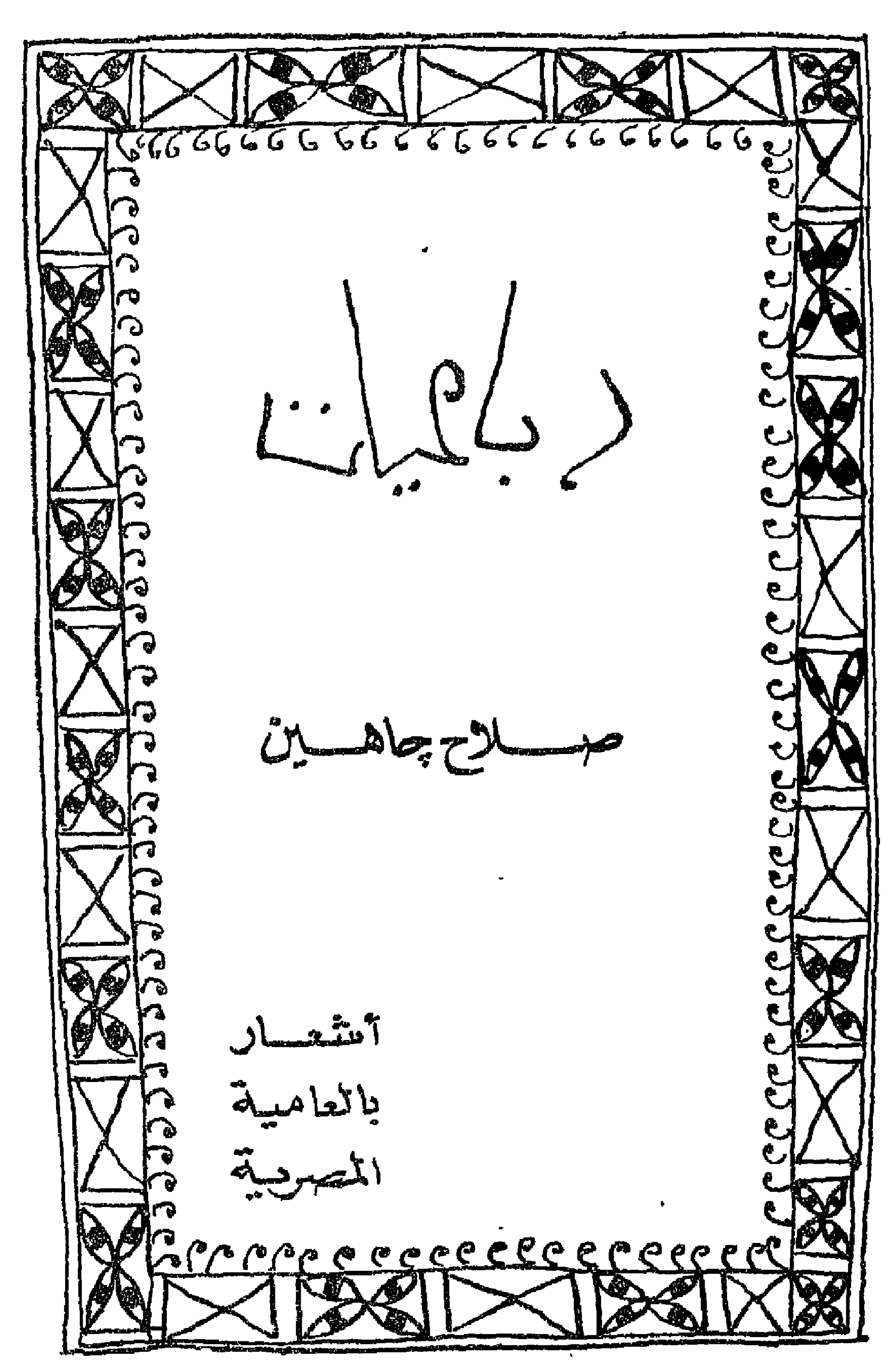
ضع فى كيس واحد كل ما كتب بها من أزجال وقصائد وأغان فلن يصعب عليك أن تلقيه فى أول كوم زباله يقابلك فى سوق التوفيقية، حتى بيرم التونسى لم يشكل خطرا على الفصحى لأنه اقتصر على المحاكاة والوصف، أما صلاح فقد رفع العامية بعد أن طعمها بالفصحى وثقافة المثقفين - فهى فى الحقية لغة ثالثة - الى مقام اللغة التى تستطيع أن تعبر عن الفلسفة شعرا، وهذا خطر عظيم، ومع حبى لهذه الرباعيات أتمنى من صميم قلبى أن تكون عاقرا فنحن فى غنى عن هذه البلبلة التى لابد أن تصيب حياتنا الأدبية.

فالأجادة فى هذه اللغة الثالثة لن تكون الا فلتة من الفلتات، فلو استخدمها كل من هب ودب تحول غذاؤنا كله الى بضاعة دكان النسالى.. لب وفول وحمص وفشار.

ونحن من علمنا بهذا الخطر لا نستطيع أن نتجاهل هذه الرباعيات والا كنا كالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمال وهذا هو ردى على الاستاذ الجليل نزيل دمياط الذى أتتلمذ على يديه وأغترف من فضله فقد كتب الى يقول (لم وفيم هذا العناء كله من أجل هذه الرباعيات المكتوبة بالعامية).

يحيى حقى

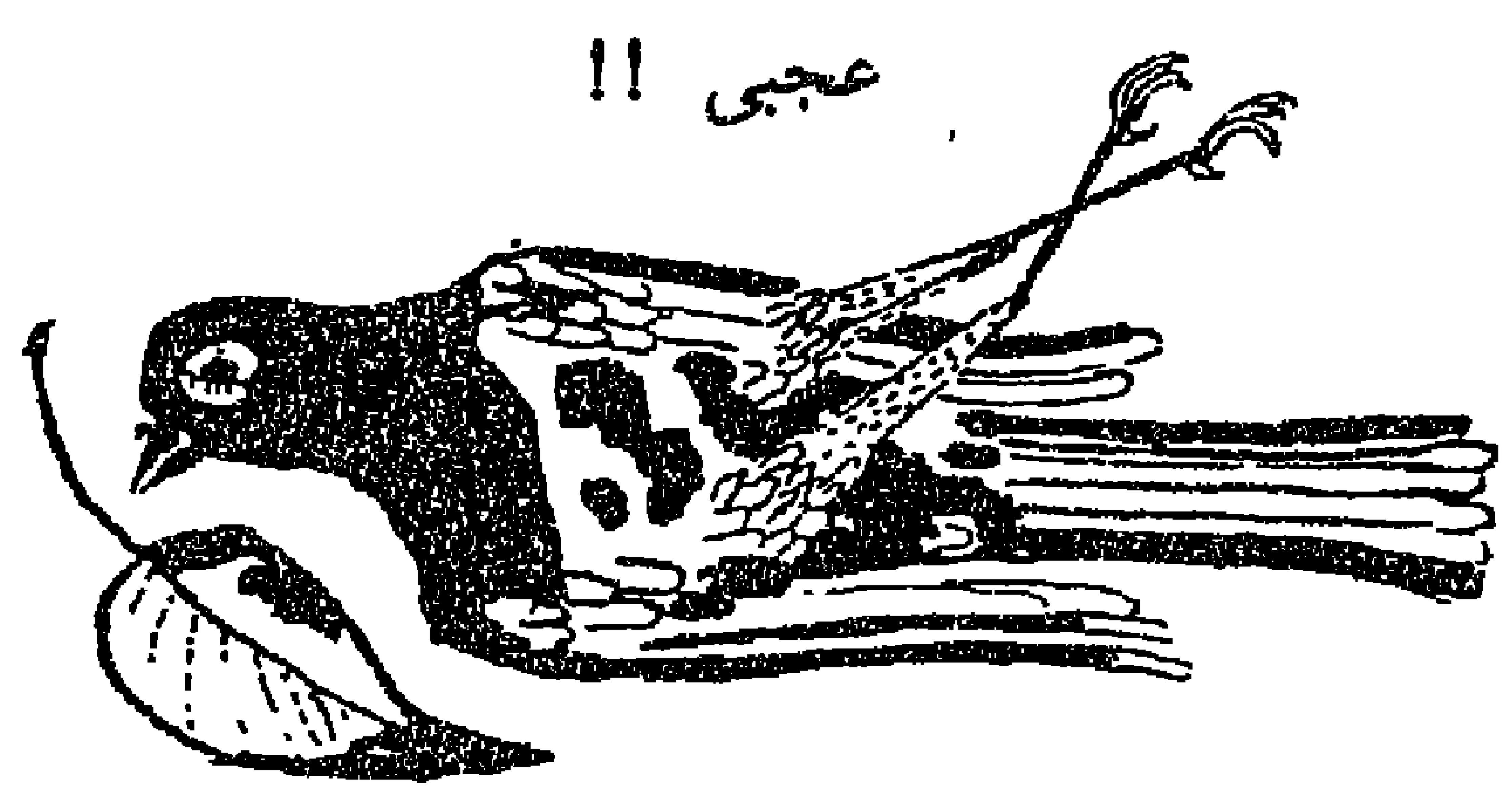
عطر الأحباب


رباعيات
صلاح جاهين
أشعار
بالعامية
المصرية



إليهم ..

مــع إن كــل الخلق من أصــل طـين
وكلهـــــم بينزلـــوا مْقَمَّضـــــين
بعـد الــدقـايق والشـــهـور والســـــنين
تــلاقى ناس أشـــرار وناس طيبـــين
عجبى !!



عجبى عليــك . . عجبى عليــك يا زمن
يا بو البِدَع يا مبــكىِّ عينى دَمــاً
إزاى أنــا أختــار لــروحى طــريـق
وآنا اللى داخـل فى الحيـاة مرغمـاً
عجبى !!

مرغم عليك يا صُبح مغصوب يا ليل
لادخلتها بـرِجْليّا ولا كـانلى ميـل
شايلنىّ شـيل دخلت انا فى الحيـاة
وبكره ح اخرج منهـا شايلنىّ شـيل
عجبى !!



سنوات وفايته عليّا فوج بعد فوج
واحـدة خَـدِتنى إبن والتـانية زوج
والتالتة أَب خدتنى والـرابعـة إيـه
إيه يعمل إللِّى بيحْدفُه موج لموج ؟
عجبى !!

وانا فى الضــلام . . من غير شــعاع يهتكه
أقــف مــكــانى بــخــوف ولا أتــركــه
ولمــا ييجى النــور واشــوف الــدروب
أحتــار زيادة . . أيهــم أسْــلكه ؟
عجبى !!



نظــرت فى الملــكوت كتيــر وانشــغلت
وبكلِ كِلمــةْ (ليــه ؟) و (عشانيه) ســألت
اســأل سـؤال . . الرد يرجــع ســؤال
واخــرج وحيــرتى أشــد ممــا دخلــت
عجبى !!

خرج ابن آدم م العَدَمْ قلت : ياه
رجع ابن آدم للعدم قلت : ياه
تراب بيحيا . . وحيٌّ بيصير تراب
الأصل هوَّ الموت والا الحياة ؟

عجبي !!



ضريح رخام فيه السعيد اندفن
وحُفره فيها شريد من غير كفن
مرِّيت عليهم . . قلت يا للعجب
لاتنين ريحتهم فيها نفس العَفَن

عجبي !!

ياما صادفت صحاب وما صَحِبْتهمش
وكاسات خمور وشراب وما شربتهمشْ
أندم على الفرص اللى انا سِبتهم
والا على الفرص اللى ما سبتهمش
عجبى !!



والكون ده كيف موجود من غير حدود
وفيه عقارب ليه وتعابين ودود
عالِم مجرب فات وقال سلامات
ده ياما فيه سؤالات من غير ردود
عجبى !!

غــدْر الـزمـان يـا قلبى مـا لهـوش أمــان
وحــاييجى يــوم تحتــاج لحبّــة إيمـــان
قلبى ارتجـف وســألنى . . أأأمِنْ بإيـه ؟
أأأمــن بــإيــه محــتــار بقــالـى زمــان
عجبى !!

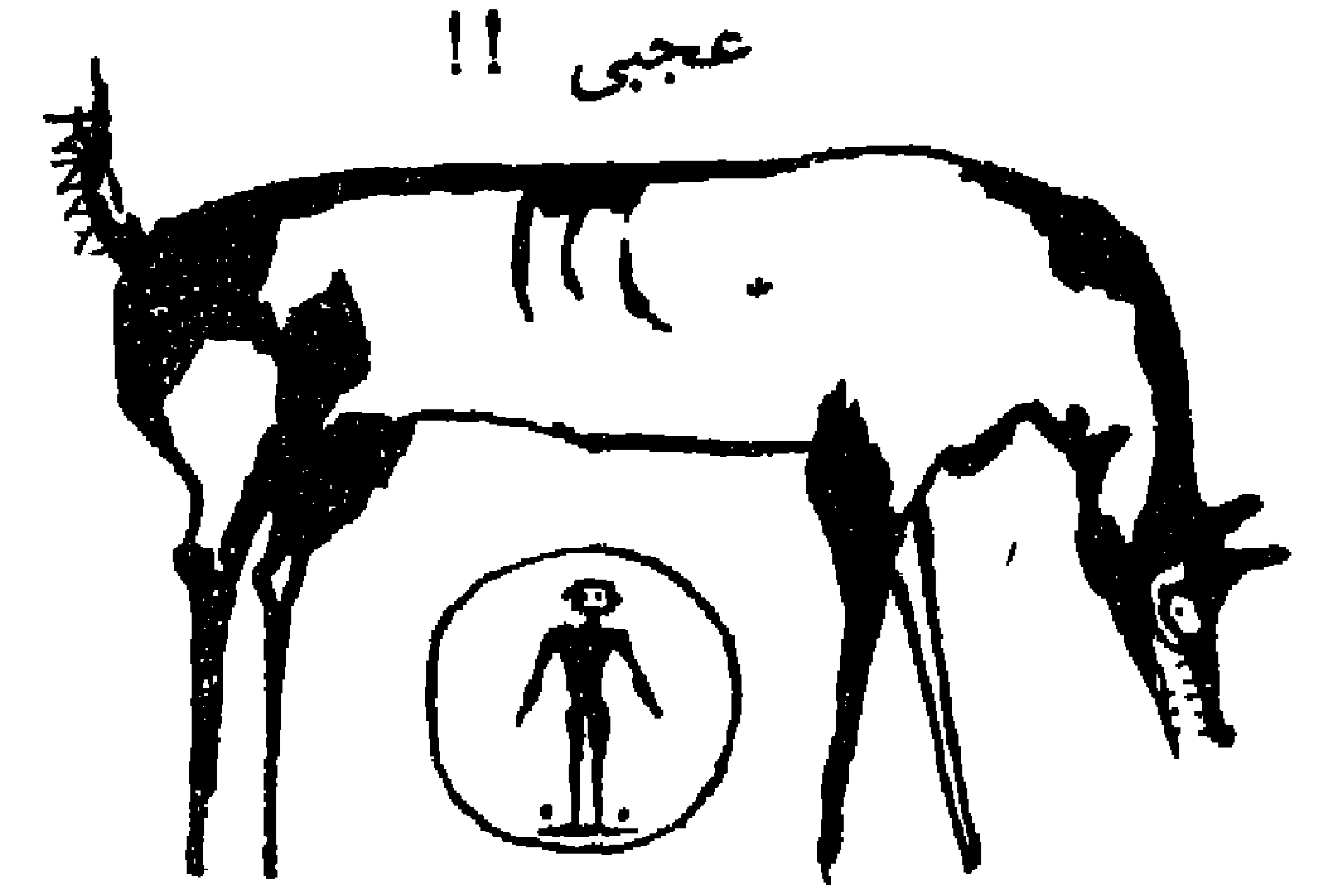
يا باب أيا مقفــول . . إمـتى الدخـول
صــبــرت يــامــا واللى يصــبــر ينــول
دقيت ســنين . . والرد يرجع لى : مينْ ؟
لو كنت عارف مين أنا . . كنت أقـول
عجبى !!

أنا شابَ لكن عمرى ولا ألف عام
وحيد ولكن بين ضلوعى زحام
خايف ولكن خوفى منى أنا
أخرس ولكن قلبى مليان كلام
عجبى !!



أحب اعيش ولو أعيش فى الغابات
أصحى كما ولدتنى أمى وابات
طائر .. حُوان .. حشرة .. بشر .. بس اعيش
محلا الحياة .. حتى فى هيئة نبات
عجبى !!

سَهِّيــر ليــالى ويــامــا لَفِّيــت وطُفــت
وف ليله راجــع فى الضــلام قمت شــفت
الخــوف . . كــأنه كلب ســدّ الـطــريق
وكـنـت عــاوز أَقـتــله . . بس خُـفـت
عجبى !!



كان فيه زمــان سِحليَّة طـول فَـرْسَــخين
كهفين عيــونهــا وخَشْمَـهــا بَـــرْبخـيـن
ماتت . . لـكين الرعب لم عمــره مـات
مــع إنه فــات بدل التــاريــخ تــاريـخـين
عجبى !!

عجبتنى كلمة من كلام الوَرَقْ
النور شَرَق من بين حروفها وبَرَقْ
حبّيت أشيلها ف قلبى . . قالت حرام
ده انا كل قلب دخلت فيه اتحرَق

عجبى !!



رقبة قزازه وقلبى فيها انحشر
شربت كاس واتنين وخامس عشر
صاحبت ناس م الخمرة ترجع وحوش
وصاحبت ناس م الخمرة ترجع بَشر

عجبى !!

كل اللى فى الخمّارة صابهم جنون
صبحوا الرجال يتبادلوا كاس المنون
وبْدمّ ونبيت انكتب ع الجدار
« يا ميت ندامة ع اللى قلبه حنون »

عجبى !!

قالوا الشقيق بيمُصّ دم الشقيق
والناس ما هيَّاش ناس بحق وحقيق
قلبى رميته وجبت غيره حجر
داب الحجر . . . ورجعت قلبى رَقيق

عجبى !!

يوم قلت آه . . سمعونى قالوا فَسَدْ
ده كان جدع قلبه حديد واتحسد
رديت على اللايمين أنا وقلت . . آه
لو تعرفوا معنى زئير الأسد

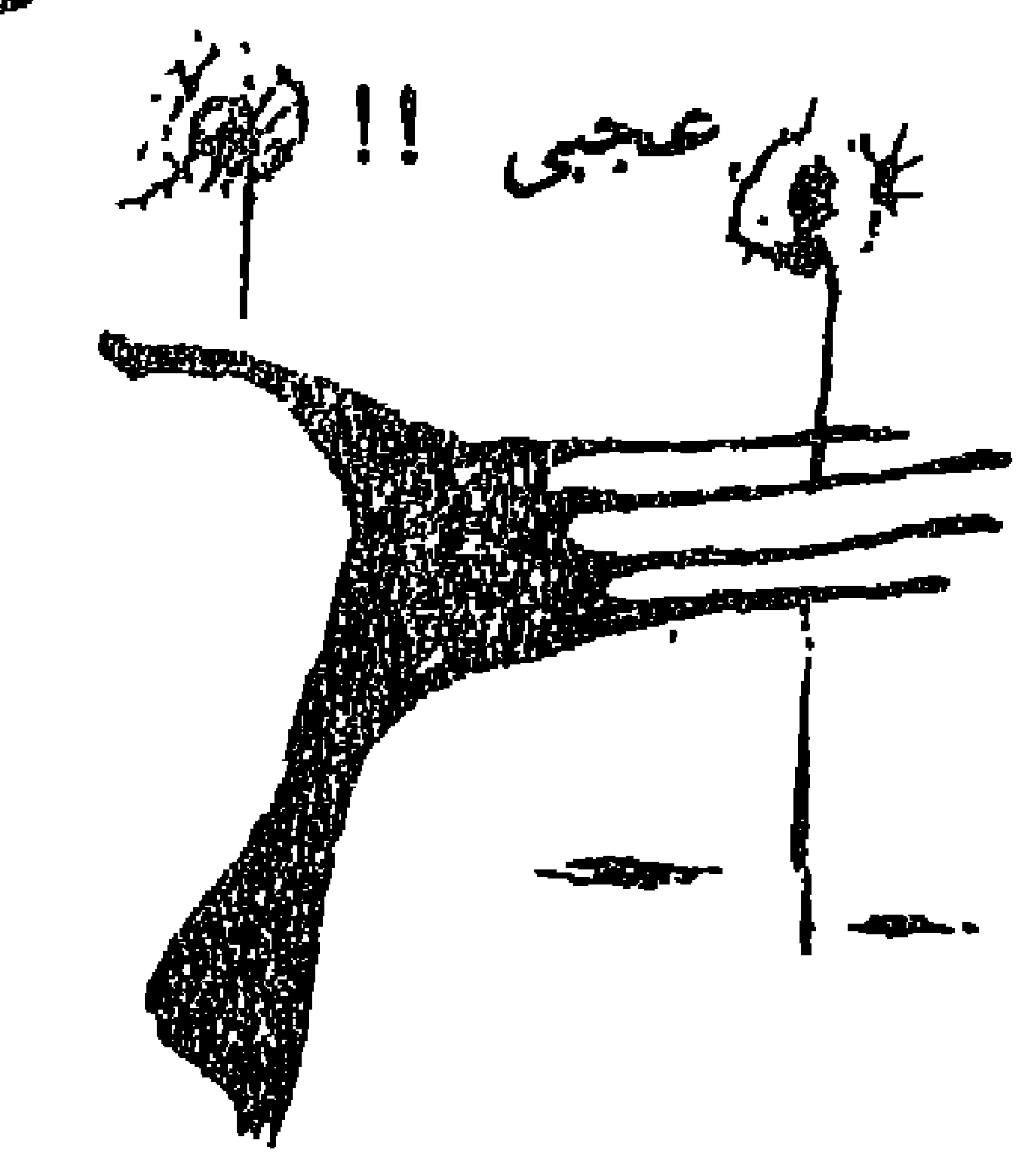
عجبى !!



بين موت وموت . . بين النيران والنيران
ع الحبل ماشيين الشجاع والجبان
عجبى عَلادى حياة . . ويا للعجب
إزاى أنا - ياتخين - بقيت بهلوان

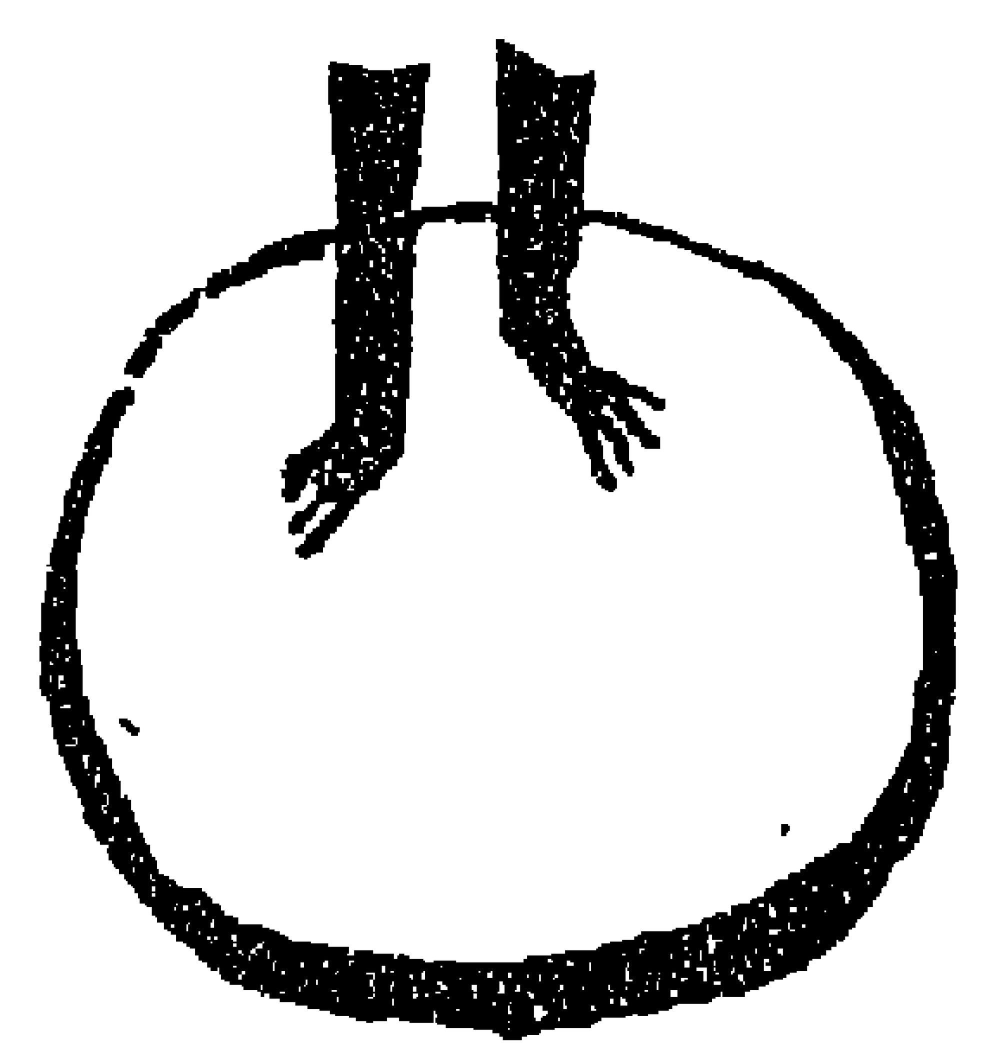
عجبى !!

أنا قلبى كان شخشيخة أصبح جَرس
جلجلت بُه صحيوا الخدم والحرس
أنا المهرج . . قمتو ليه خفتو ليه
لاف إيدى سيف ولا تحت منى فرس
عجبى !!



دخل الربيع يضحك لقانى حزين
نده الربيع على إسمى لم قلت مين
حط الربيع أزهاره جنبى وراح
وإيش تعمل الأزهار للمَيتين
عجبى !!

مهبوش بخربوش الألم والضياع
قلبى ومنزوع م الضلوع انتزاع
يا مرايتى يا اللى بترسمى ضحكتى
يا هلترى ده وش والاّ قناع
عجبى !!



حبيت . . لكن حب من غير حنان
وصاحبت لكن صُحبه مالهاش أمان
رحت لحكيم واكتر لقيت بلوتى
إن اللى جوّه القلب مش ع اللسان
عجبى !!

ليه ياحبيبتى ما بيننا دايماً سفر
ده البعد ذنب كبير لا يُغتفر
ليه ياحبيبتى ما بيننا دايماً بحور
أعدى بحر ألاقى غيره اتحفر
عجبى !!



ورا كل شباك ألف عين مفتوحين
وانا وانتى ماشيين ياغرامى الحزين
لو التصقنا نموت بضربة حجر
ولو افترقنا نموت متحسّرين
عجبى !!

نوح راح لحاله والطوفان استمر
مركبنا تايهة لسه مش لاقية بَر
آه م الطوفان وآهين يا بر الأمان
إزاى تبان والدنيا غرقانة شر
عجبى !!



على رجلى دم . . نظرت له ما احتملت
على إيدى دم . . سألت : ليه ؟ لم وصلت
على كتفى دم وحتى على راسى دم
أنا كُلّى دم . . قتلت ؟ . . والا اتقتلت ؟
عجبى !!

أنا كل يوم أسمع . . فلان عذَّبوه
أسرح فى بغداد والجزاير واتوه
ما اعجبش م اللى يطيق بجسْمه العذاب
واعجب من اللى يطيق يعذب أخوه

عجبى !!

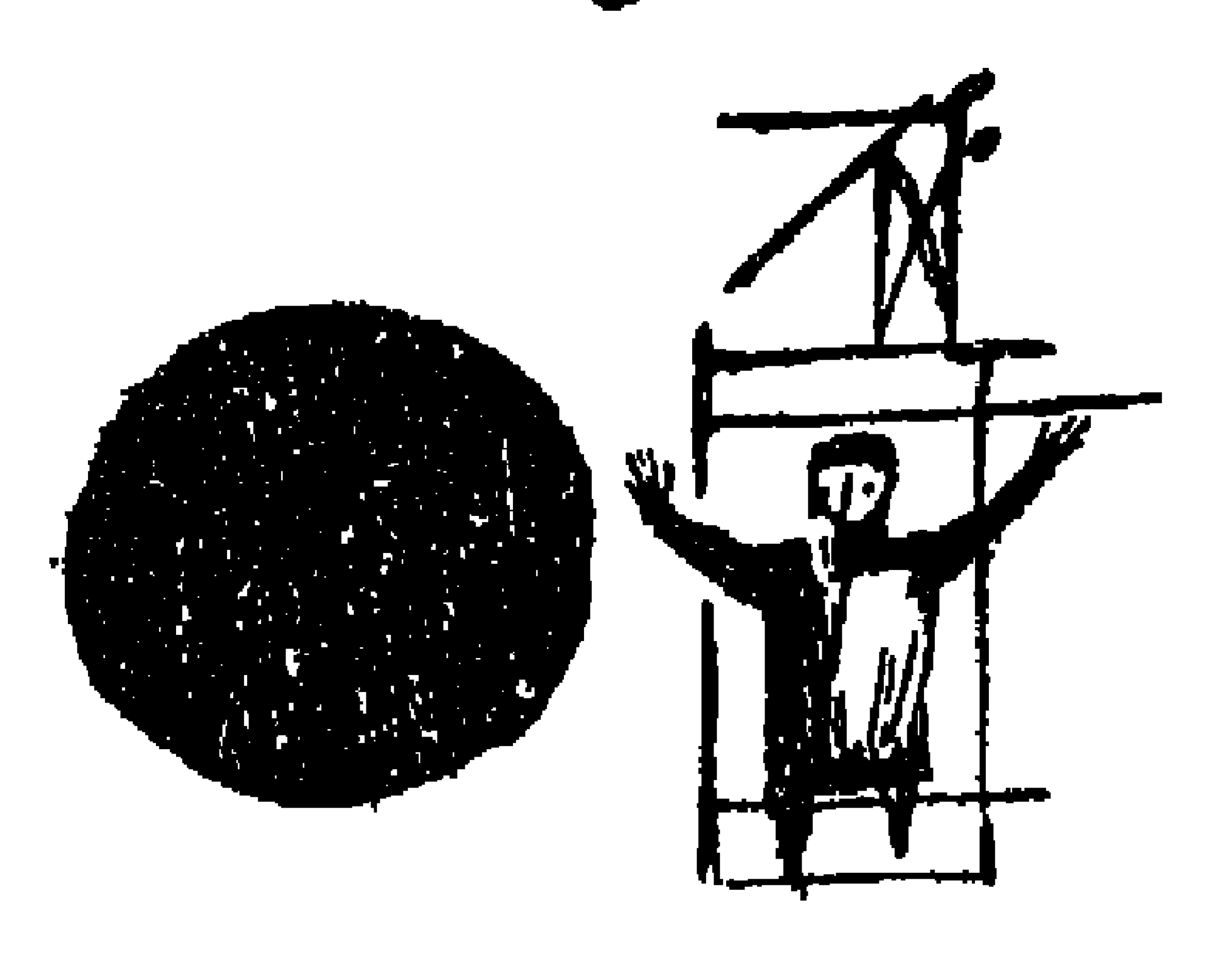


ينبوع وفى الحواديت أنا سمعت عنه
إنه عجيب . . وف وسط لهاليب لكنُّه
شقِّيت كما الفرسان طريقى . . لقيت
حتى الخنازير والكلاب شربوا مِنّه

عجبى !!

يا قرص شمس مالهش قبة سما
يا ورد من غير أرض شب ونما
يا أى معنى جميل سمعنا عليه
الخلق ليه عايشين حياه مؤلمة

عجبى !!

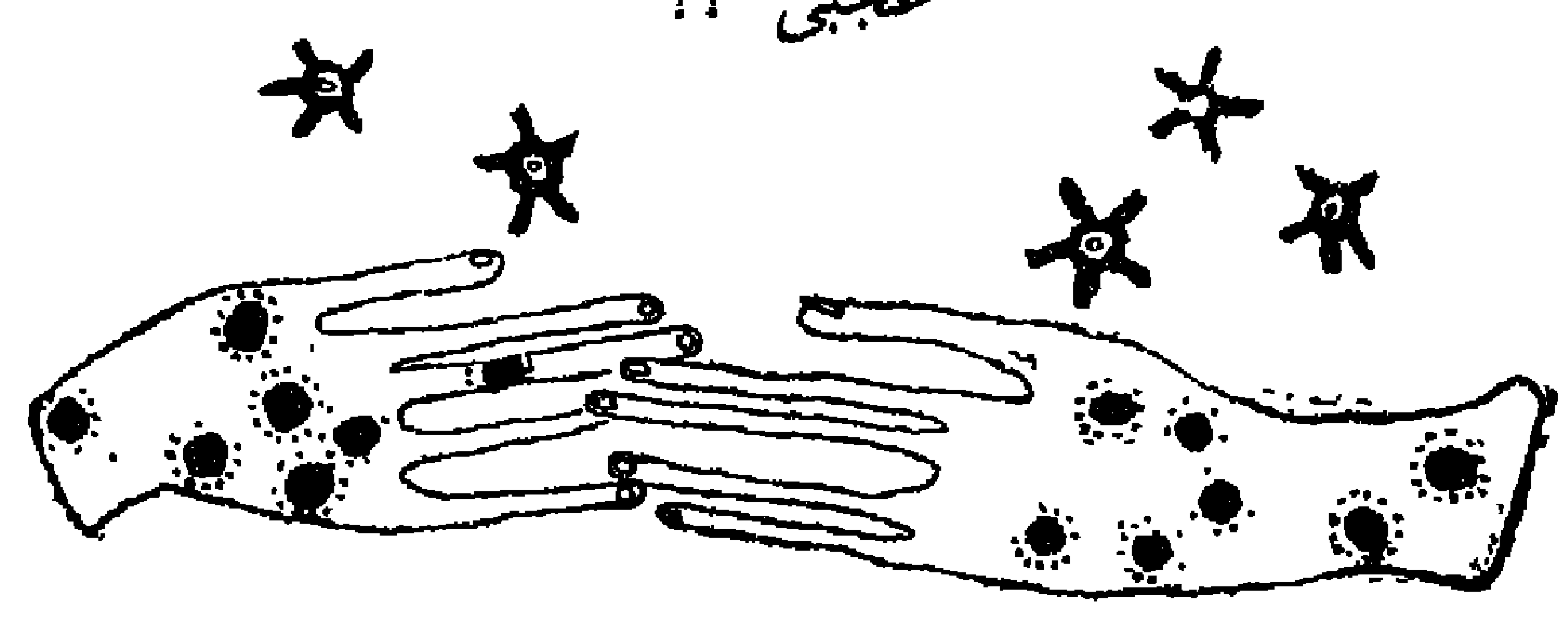


شاف الطبيب جرحى وَصَف له الأمل
وعطانى منه مقام يا دوب ما اندمل
مجروح جديد يا طبيب وجرحى لهيب
ودواك فرغ منى . . وإيه العمل ؟

عجبى !!

أعـرف عيــون هى الجمــال والــحســن
واعرف عيــون تاخــد القــلوب بالحضــن
وعيــون مخيفــة وقــاســية وعيــون كتيــر
وبــاحسّ فيهـــم كـلهـــم بــالحـــزن .

عجبى !!



إيش تـطلبى يا نفســى فــوق كــلّ ده
حـظــك بيضـــحك وانــتى متنكــدة
ردت قالت لى النفس : قــول للبَشَــر
مــا يبصــوليش بعيــون حــزينــة كــده

عجبى !!

إقلـع غمـاك يـا تـور وارفـض تِـلِـفْ
إكسـر تـروس السـاقيـة واشـتـم وتِـف
قال : بس خطـوة كمـان . . وخطوة كمان . .
يا اوصـل نهـاية السـكة يا البير يجّف
عجبى !!



يا حـزين يا قمقـم تحـت بحـر الضـياع
حـزيـن أنـا زيـك وإيـه مسـتـطاع
الحـزن مـا بقالهـوش جـلال يا جـدع
الحـزن زى البرد . . زى الصـداع
عجبى !!

فى يوم صحيت شاعر براحة وصفا
الهم زال والحزن راح واختفى
خَدنى العجب وسألت روحى سؤال
أنا مُت ؟ . . والا وصلت للفلسفه ؟
عجبى ! !



الفيلسوف قاعد يفكر سِيبوه
لا تعملوه سلطان ولا تصلبوه
ما تعرفوش إن الفلاسفة يا هوه
اللى يقولوه بيرجعوا يكذّبوه ؟
عجبى ! !

على بعد مليون ميل من أرضنا
من الفراغ الكونى بصيت أنا
لا شفت فرق ما بين جبال أو بحرر
ولا شفت فرق ما بين عذاب أو هَنا

عجبى ! !



إنسان أيا إنسان ما أجهلك
ما أتفهك فى الكون وما أضألك
شمس وقمر وسدوم وملايين نجوم
وفاكرها يا موهوم مخلوقه لك ؟

عجبى ! !

نــظـرت فــوقـى للنـجـوم وانــا ســايــر
رجليــا عِثْرت فى الحُفَـر والحجــايــر
بقيت أقـول وانـا عِ التراب : يـا سلام
مش بس عِـبـره أخـذت لكـن عبـايـر
عجبى ! !



ـ يا نجم . . نورك ليه كده بيـرتجف ؟
هوّ انت قنديل زيت ؟ . . أو تختلف ؟
ـ أنـا نجم عـالى . . بس عـالى قـوى
وكـل ما انـظر تحت اخاف انحـدف
عجبى ! !

السم لو كان فى الدوا . . منين يضر ؟
والموت . . ولو لعدوّنا . . منين يُسرّ ؟
حُط القلم فى الحبر واكتب كمان
. . والعبد للشهوات . . منين هو حُرّ ؟

عجبى ! !



وقفت بين شطين على قنطرة
الكدب فين والصدق فين يا ترى
محتار ح اموت . . الحوت خرج لى وقال
هو الكلام يتقاس بالمسطره ؟

عجبى ! !

سرداب فى مستشفى الولاده طويل
صرخات عذاب ورا كل باب وعويل
.. وفى الطريق متزوقين البنات
متزوقين للحب والمواويل
عجبى ! !



الدنيا أُوده كبيره للانتظار
فيها ابن آدم زيُّه زى الحمار
الهم واحد . . والمَلَلْ مشترك
ومفيش حمار بيحاول الإنتحار
عجبى ! !

أيـوب رمـاه الـبيـن بـكـل الـعـلل
سـبـع سنيـن مـرضـان وعـنـده شـلل
الصبـر طيب . . صبـر أيـوب شـفـاه
بس الأكـاده مـات بـفـعـل الـمَـلَل

عجبى ! !

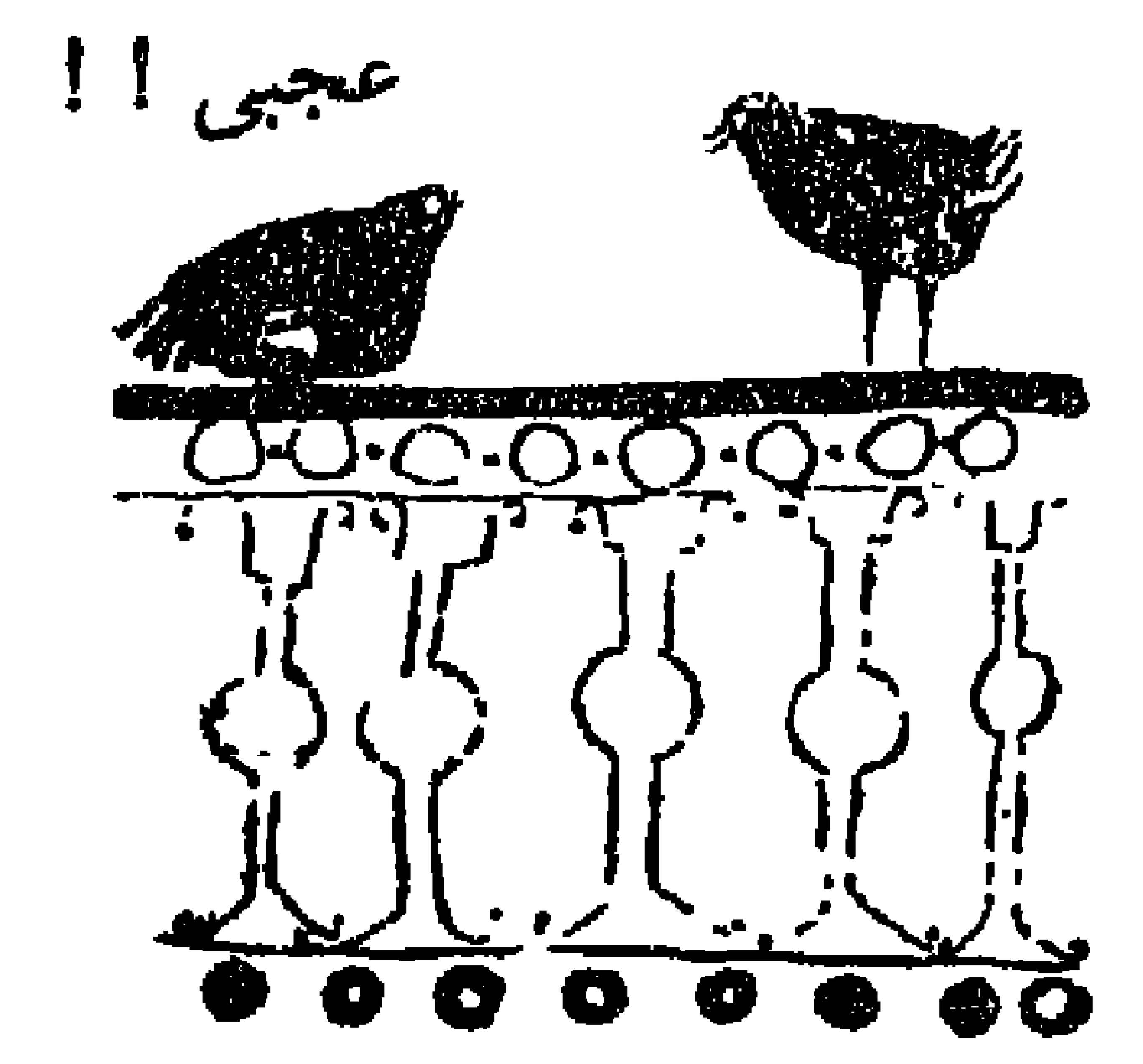


نسـمـة ربيـع لكن بـتكـوى الـوشـوش
طـيـور جمـيلة بس مـن غيـر عـشـوش
قـلـوب بـتـخـفـق . . إنـمـا وحـدهـا
هى الحياه كده . . كلها فى الفاشوش

عجبى ! !

يا طير يا عالى فى السما طُظ فيك
ما تفتكرشى ربنا مُصطَفيك
برضك بتاكل دود وللطين تعود
تمص فيه يا حلو . ويمص فيك

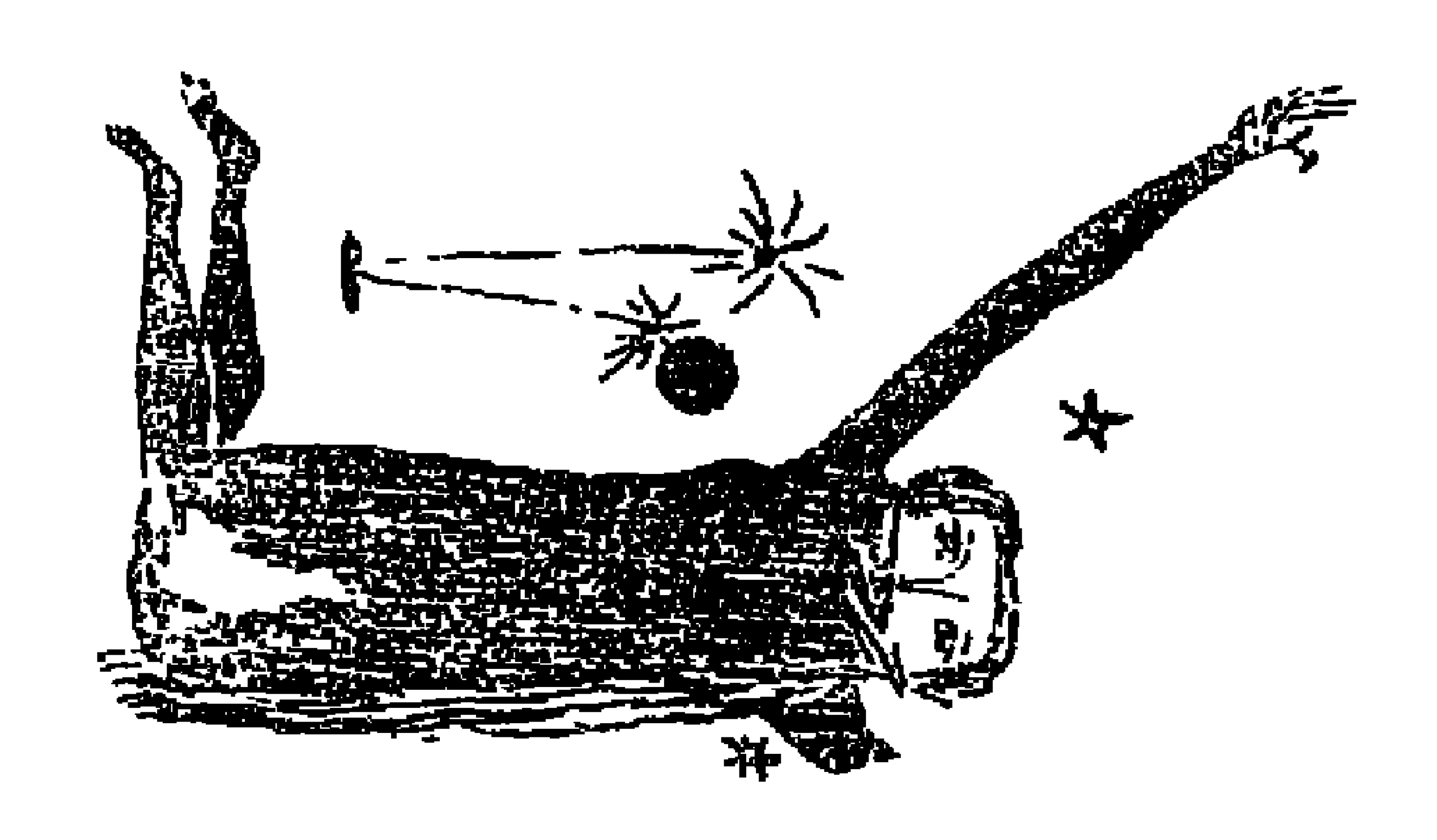
عجبى ! !



كروان جريح مضروب شعاع م القمر
سقط من السموات فؤاده انكسر
جِرْيت عليه قطه عشان تبلعه
أتاريه خيال شعراء ومالهوش أثر

عجبى ! !

يـــاللى نصحت النـــاس بشـرب الـنبـيت
مع بنت حلوه . . وعود ، وضحك ، وحديت
مش كـنت تنصحهـم منين يـكـسبـوا
تَمن ده كله ؟ . . والا يمكن نسيت
عجبى ! !



مـا حـد فى الدنيـا دى واخـد جـزاتـه
ولا حـد بيفـكـر فى غـيـر لـذاذاتـه
ماتعرفيش يا حبيبتى . . أنا وانتى مين ؟
إنتى عروس النيل . . وانـا النيل بـذاته
عجبى ! !

رقاصه خرسا ورقصه من غير نغم
دنيا . . يا مين يصالحها قبل الندم
ساغْتِن تهز بوجهها يعنى لا
يترجرجوا نهديها يعنى نعم
عجبى ! !



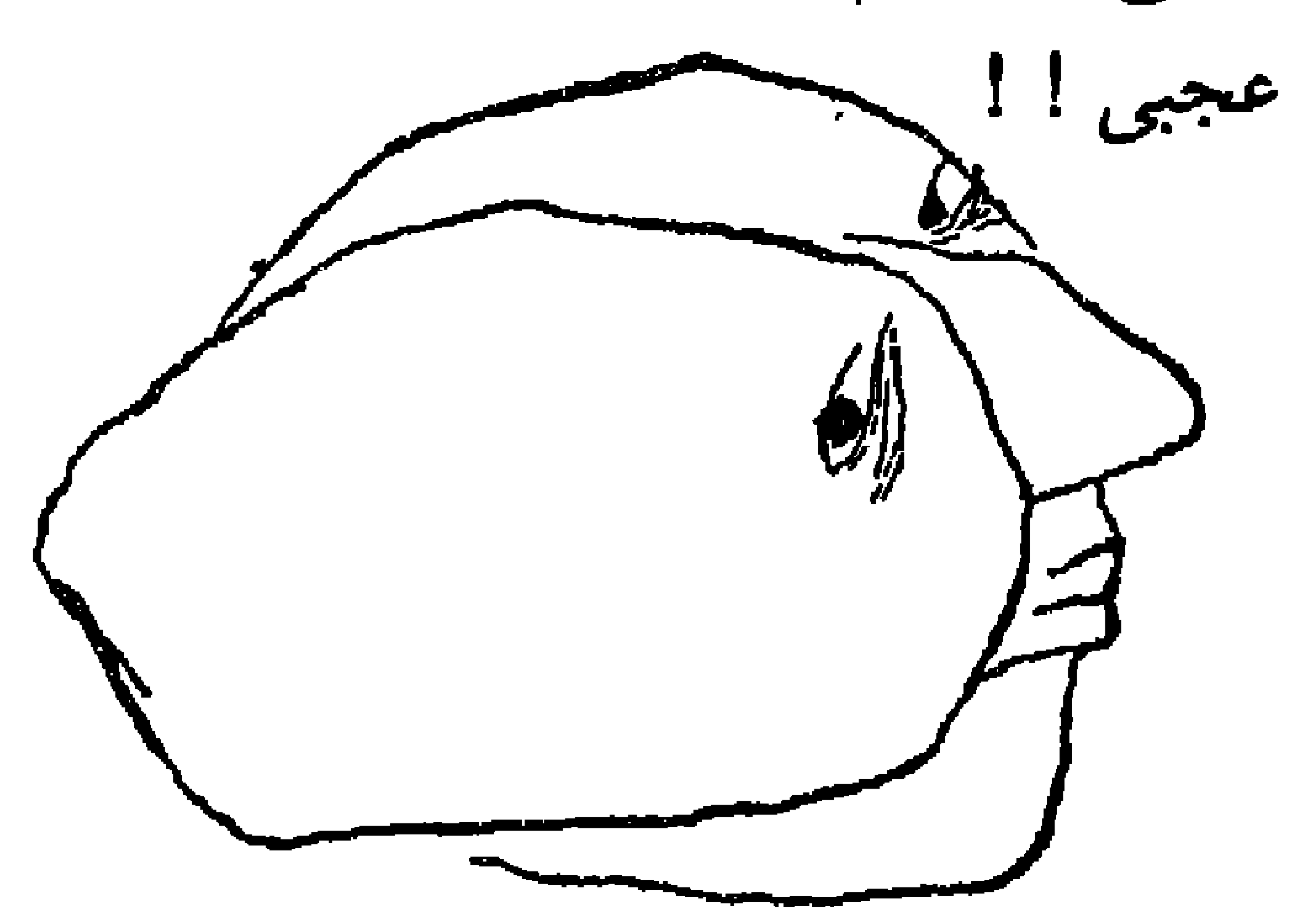
إخطفنى ياللى تحبنى ع الحصان
الدنيا قالت يوم فى ماضى الزمان
إخطفنى ياللى تحبنى ع الفرس
الدنيا قالت . . قام خطفها الشيطان
عجبى ! !

من بين شقوق الشيش وشقشقْت لك
مع شهقة العصافير وزقزقْت لك
نهار جديد انا . . قوم نشوف نعمليه
انا قلت يا ح تقتلنى . . يا ح اقتلك
عجبى ! !



قلبى عليل يا ناس وفى الكاس دواه
مدّيت له إيدى شرِبت م اللى حَواه
جنبى الشمال خف . . اليمين اتوجع
وإيه يداوى الكِبْد م اللى كواه
عجبى ! !

. . دى مذكرات وكتبتها من سنين
فى نوته زرقا لون يحور الحنين
عثرت فيها . . رميتها فى المهملات
وقلت أما صحيح كلام مخبولين
عجبى ! !

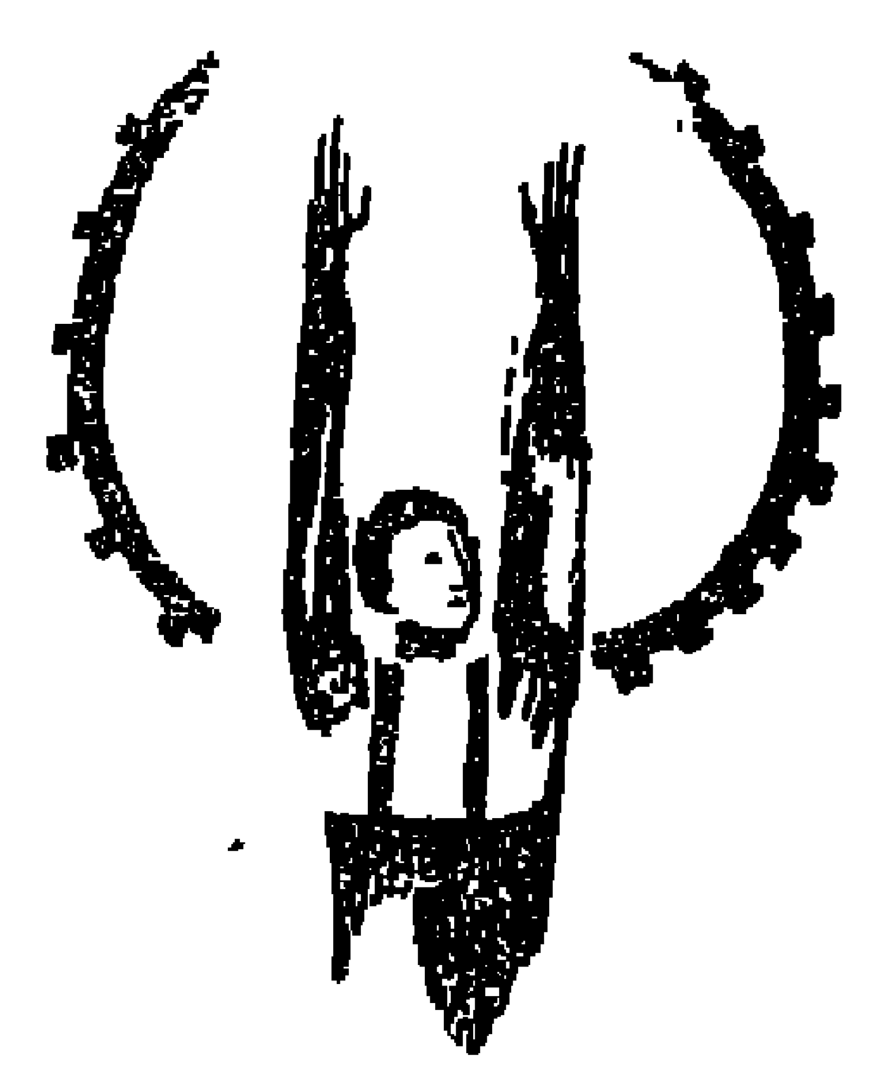


دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت
وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا
لكن حاجات أكتر بترفض تموت
عجبى ! !

ـ الدنيا من غير الربيع ميّته
ورقة شجر ضعفانه ومفتفته
ـ لأ يا جدع غلطان تأمّل وشوف
زهر الشتا طالع فى عز الشتا
عجبى ! !

يا اللى انت بيتك قش مفروش بريش
تقوى عليه الريح . يصبح مفيش
عجبى عليك حواليك مخالب كبار
وما لكش غير منقار وقادر تعيش
عجبى ! !

سمعت نقطة مَيّه جُوّه المحيط
بتقول لنقطه ماتنزليش فى الغويط
أخاف عليكى م الغرق . . قلت انا
ده اللى يخاف م الوعد يبقى عبيط
عجبى ! !



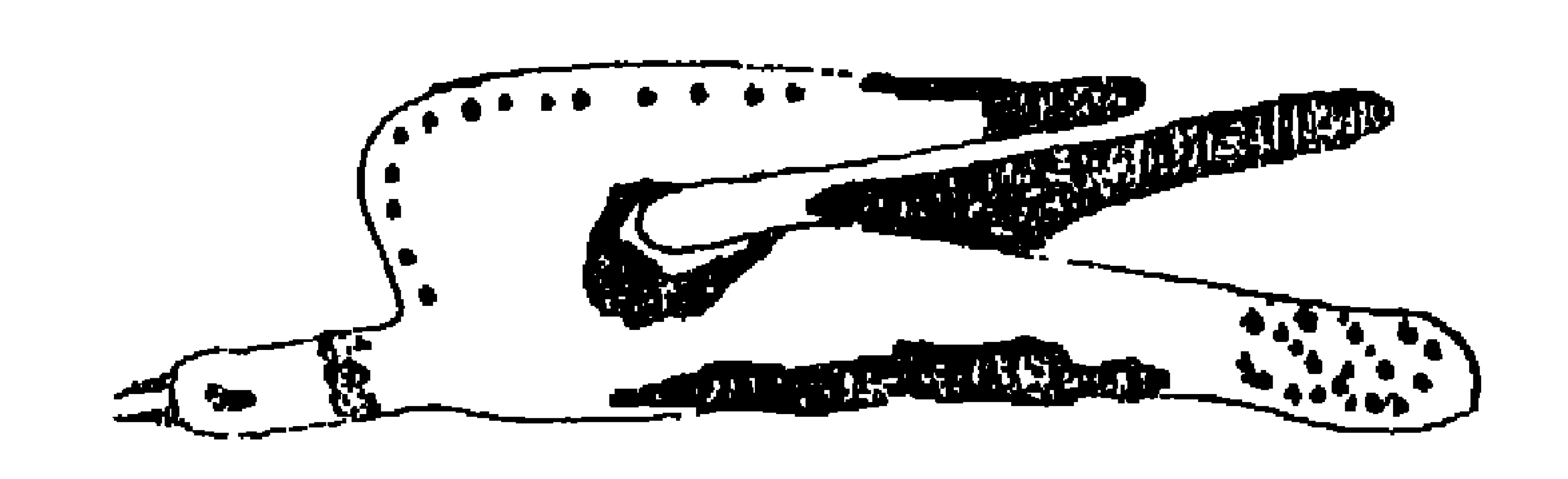
جالك أوان ووقفت موقف وجود
يا تجود بدَه يا قلبى يا بْده تجود
ماحد يقدر يبقِى على كل شىء
مع إن - عجبى - كل شىء موجود
عجبى ! !

جالك أوان وعرفت مشى الجنايز
كيف شُفتها يا عبد رب اللذايذ
قال : شفت شيل بالحيل فقير أو أمير
كما شالوا فى الخمامير فواضى القزايز
عجبى ! !



أنا كنت شىء وصبحت شىء ثم شىء
شوف ربنا . . قادر على كل شىء
هَزّ الشجر شواشيه ووشوشنى قال :
لابد ما يموت شىء عشان يحيا شىء
عجبى ! !

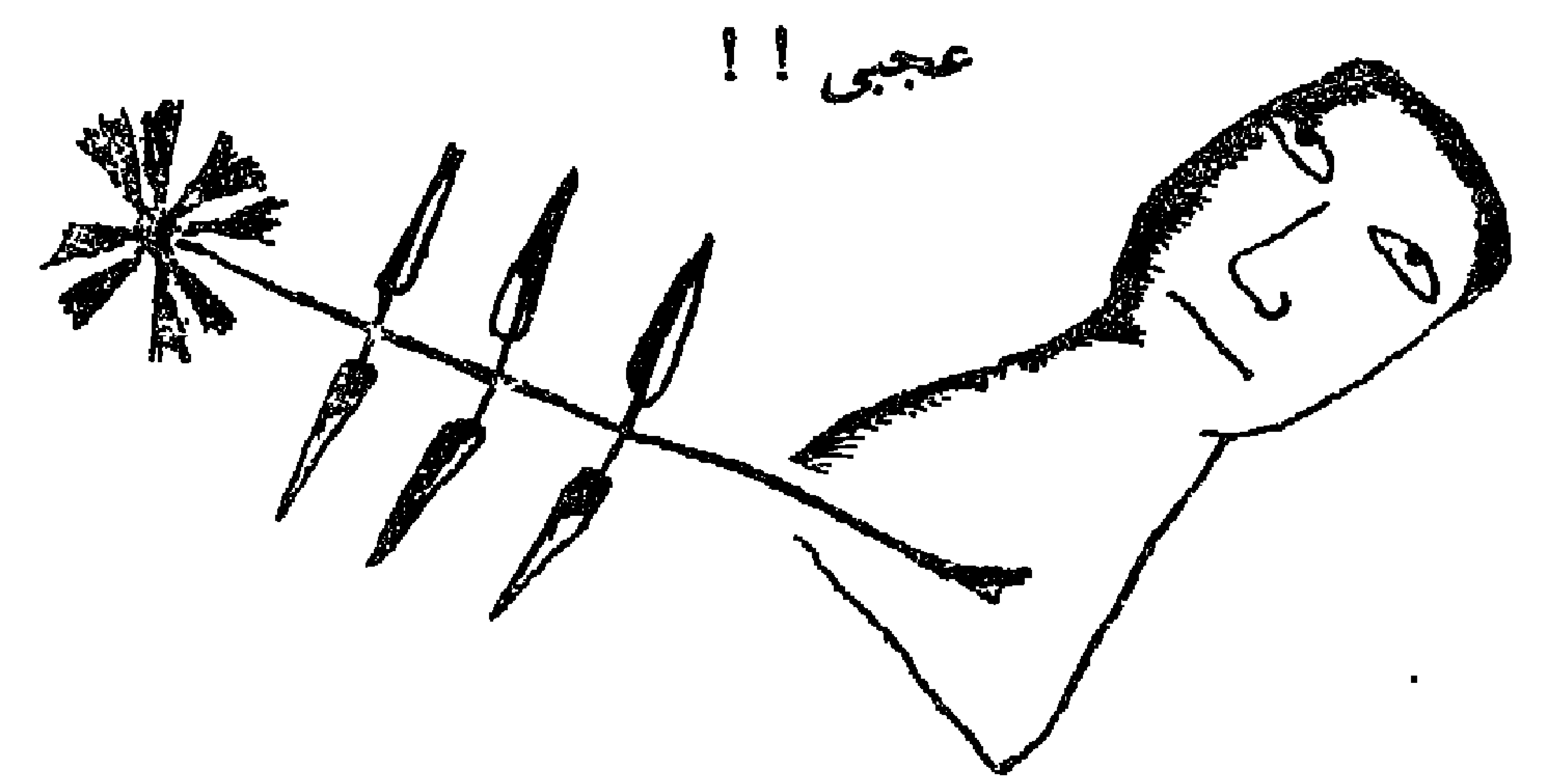
يــا مشــرط الجـرّاح أمــانــة عـليــك
وانت فْ حشــايا تبص من حــواليــك
فيــه نقطه ســوده فى قلبى بـدأت تبـان
شـيلهـا كمان . . والفضـل يرجـع إليـك
عجبى ! !



كـيف شـفت قـلبى والـنبى يــا طبـيب
هَمَــد ومــات والا سـامــع لــه دبيــب
قــالـلى لـقيـتــه مـختـنـق بــالــدمــوع
وما لوش دوا غير لمسـه من إيد حبيب
عجبى ! !

تسلم يا غصن الخوخ يا عود الحطب
يجى الربيع . . تطلع زهورك عجب
وانا ليه بيمضى ربيع ويبى ربيع
ولسه برضك قلبى حتة خشب

عجبى ! !



بحر الحياه مليان بغرقى الحياه
صَرَخْت خَش الموج فى حلقى ملاه
قارب نجاه ! . صَرَخْت قالوا مفيش
غير بس هو الحُب قارب نجاه

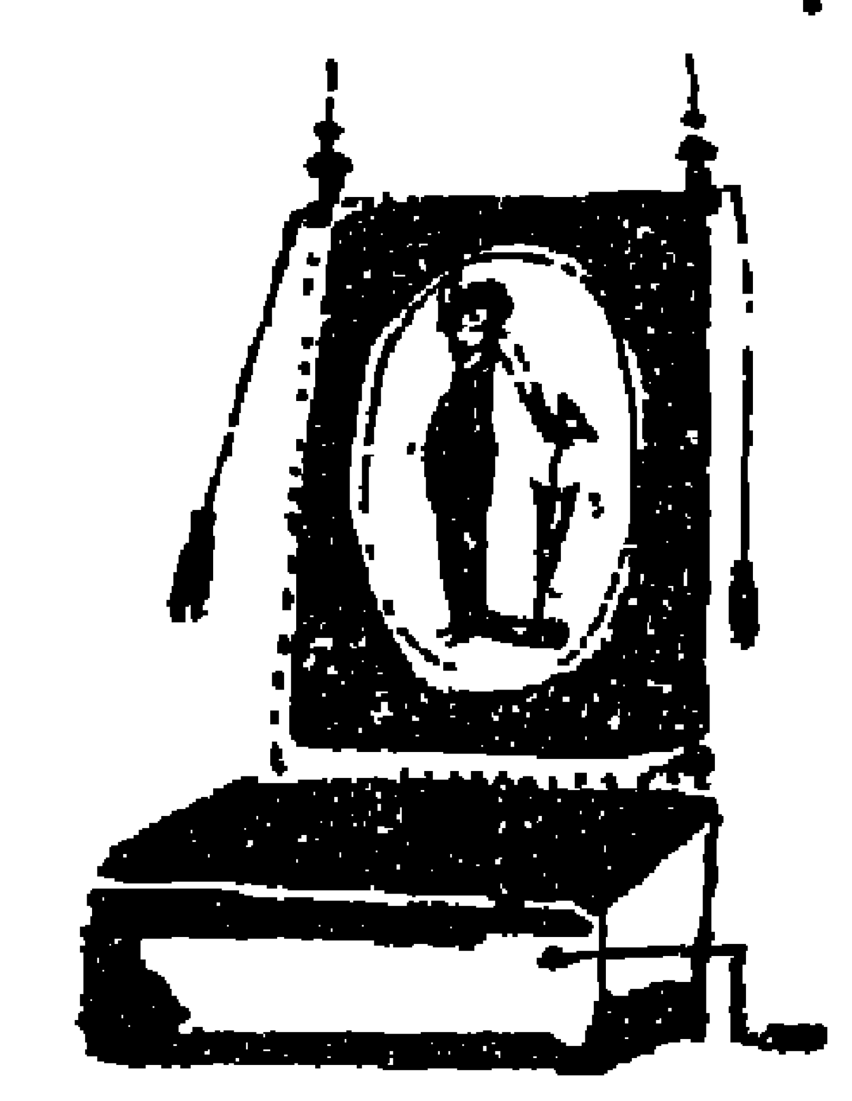
عجبى ! !

فـارس وحـيـد جـوّه الـدروع الحـديـد
رفـرف عليـه عصـفـور وقـال لـه نشيـد
منين منين . ولفين لفيـن يـا جـدع
قـال من بعـيـد ولـسـه رايـح بـعـيـد
عجبى ! !



كـان فيـه قمـر كـأنـه فـرخ الحمـام
على صـغـره دق شـعـاع شـق الغمـام
أنـا كنت حـاضـر قلت لـه ينصـرك
إشـحـال لمـا ح تـبقـى بـدر التمـام
عجبى ! !

النهد زى الفهد نط اندلع
قلبى انهبش بين الضلوع وانخلع
ياللى نهيت البنت عن فعلها
قول للطبيعة كمان تبطل دلع
عجبى ! !



صوتك يا بنت الإيه كأنه بدن
يرقص يزيح الهم يمحى الشجن
يا حلوتي وبدنك كأنه كلام
كلام فلاسفه سكروا نسيوا الزمن
عجبى ! !

كـرباج سـعـاده وقـلبى مـنـه انـجـلد
رَمَـح كـأنـه حـصـان ولَـفّ الـبـلد
ورجـع لى نُصّ الليـل وسـألنى . . ليه
خجـلان تقـول انـك سـعيـد يا ولـد

عجبى ! !



مـزّيكـه هـاديـه الكـون فيهـا انـغمر
وصـيـف ولـيـل وعُـقـد فـل وسَـمَـرْ
يـا هـلتـرى النـاس كـلهم مـبسـوطـين
ويـا هلتـرى شـايفين جمـال القـمـر؟

عجبى ! !

إنشد يا قلبى غنوتك للجمال
وارقص فى صدرى من اليمين للشمال
ما هوش بعيد تفضل لبكره سعيد
ده كل يوم فيه ألف ألف احتمال
عجبى ! !

آه لو أنا ومحبوبى جُزنا الفضا
فى سفينة وحدينا .. وأشيا رضا
ساعة صفا تعجبنا نرجع لها
والهم قبل ما ييجى ... يبقى مضى
عجبى !!

أنــا إلــه الــوجــد رب الــهــيــام
أضــرب بــسهـم الــوهــم وَهْــم الــغــرام
وَهْم الغــرام من كتــر مــا هُــو لــذيــذ
رَشَقْت انــا ف صــدرى جميــع السهـام
عجبى !!



حــدوتــه عــن جعــران وعــن خُنفســه
اتــقــابلوا حَبّــوا بعض ســاعــة مِسَــا
ولا قــال لهم حد اختشــوا عيب حــرام
ولا حــد قــال دي علاقــة متــدنســه
عجبى !!

يــالـلى عــرفت الــحــب يــوم وانــطوى
جِسّــك تقــول مشتــاق لـنبــع الـهــوى
جِسّــك تقــول مشتــاق لـنبــع الـغــرام
ده الحب .. مين داق منه قطره .. ارتوى
عجبى !!



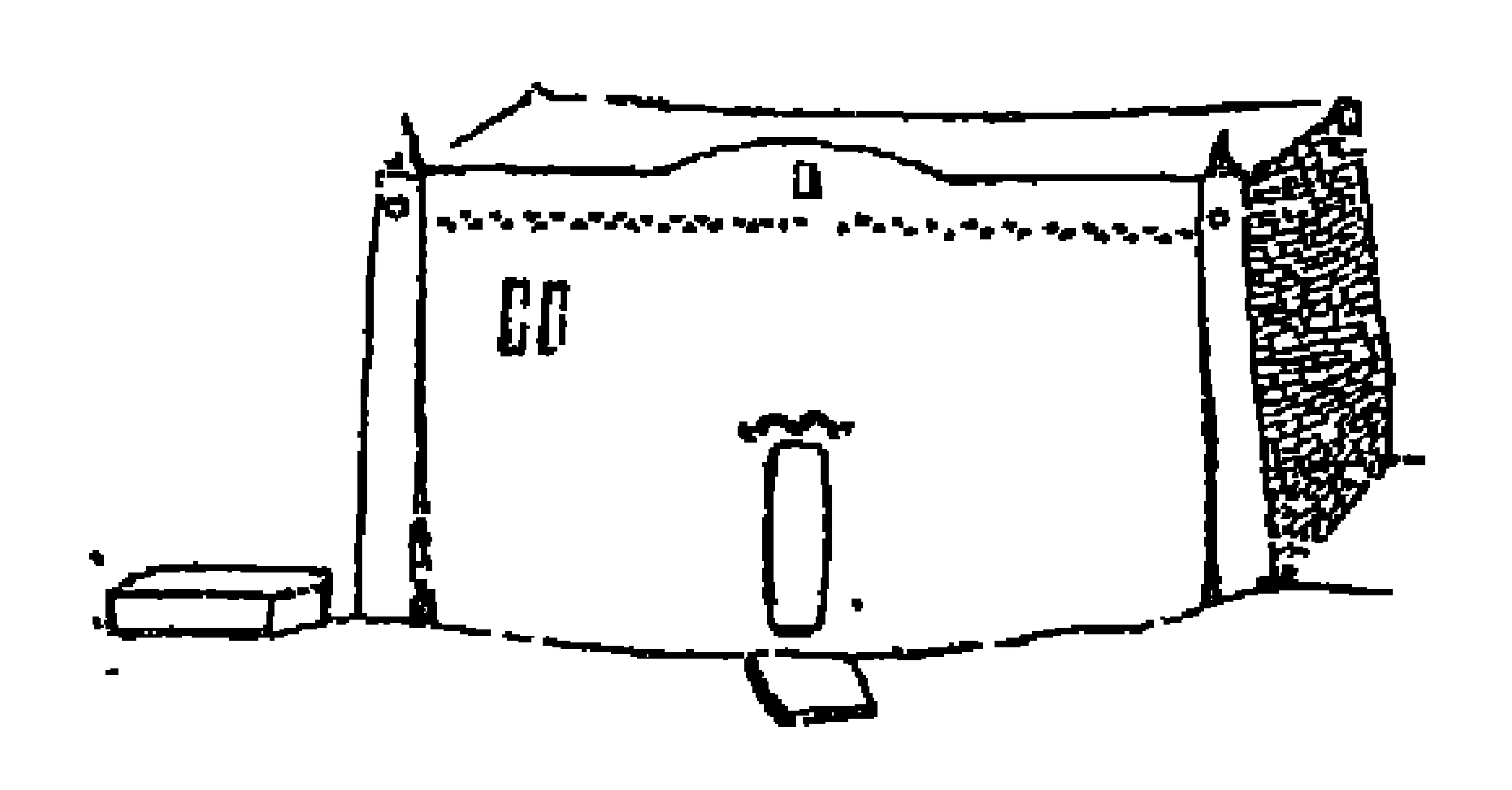
زحــام وأبــواق ســيــارات مــزعــجــة
إللى يـطول لـه رصيف .. يبقى نجـا
لــو كـنـت جـنـبـى يــا حـبـيـبـى أنــا
مش كنت اشـوف إن الحيـاة مُبهجـه ؟
عجبى !!

إيـديّـا فـى جيـوبى وقـلبـى طِـرِب
سـارح فى غـربـة بس مش مِغتـرِب
وحـدى لـكيـن وَنْسـان ومـاشـى كـده
وبابتعد ... ما اعرفش ... أو باقتِرِب
عجبى !!



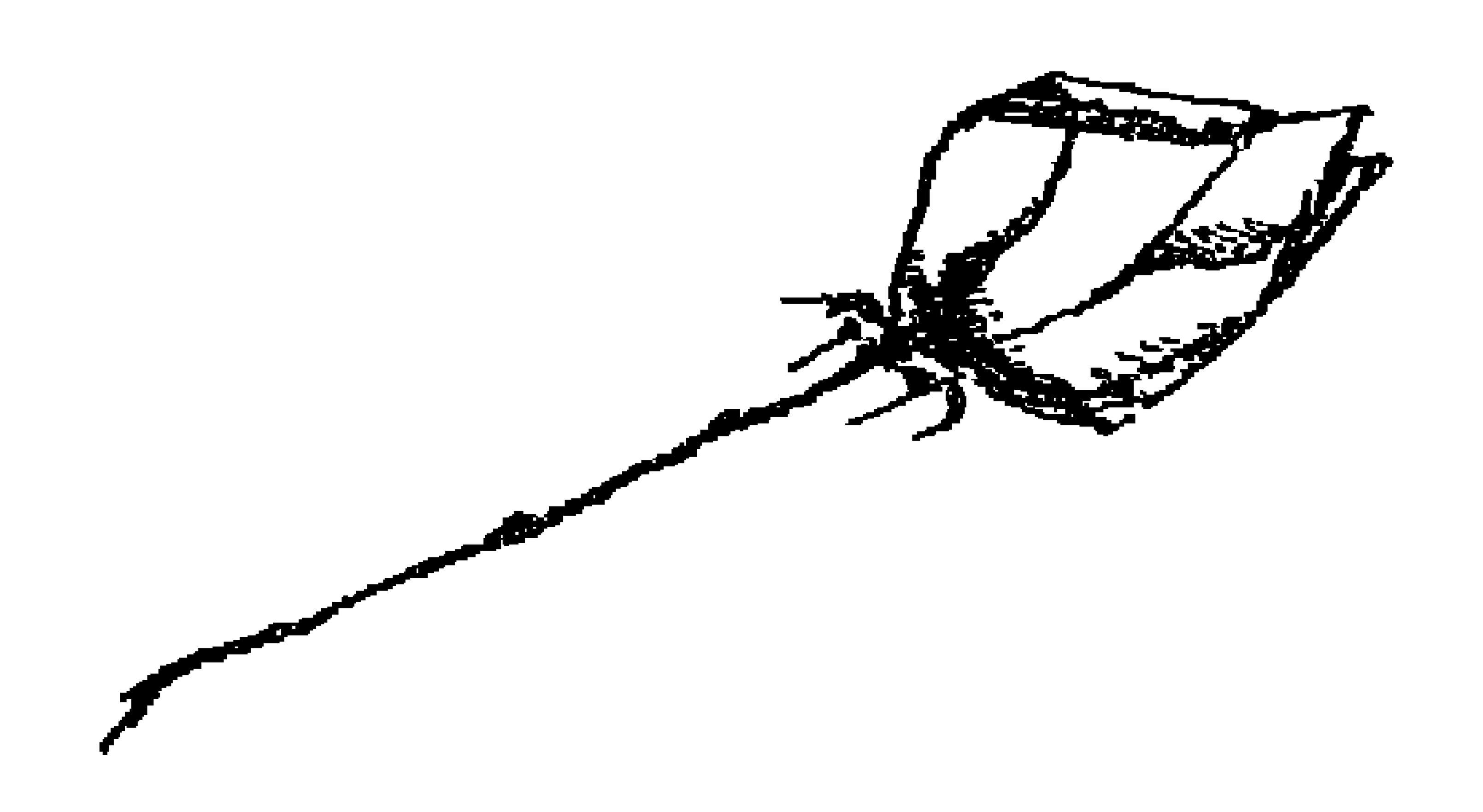
يـا ميت نـدامـه ع الـقلوب الـخـلا
لا مـحـبـة فـيهـا ولا كـراهـه ولا
حتى يـا قلبى الحزن مـا عـادش فيـك
معلهش ... لك يوم برضه راح تتملا
عجبى !!

مـرحبْ ربيع مـرحب ربيـع مـرحبـهْ
يـا طفل يـا للى ف دمى ناغـا وْحَبَا
علشــان عيــونــك يــا صْـغنّن هــويت
حـــتــى ديــدان الأرض والأغــربــه
عجبى !!



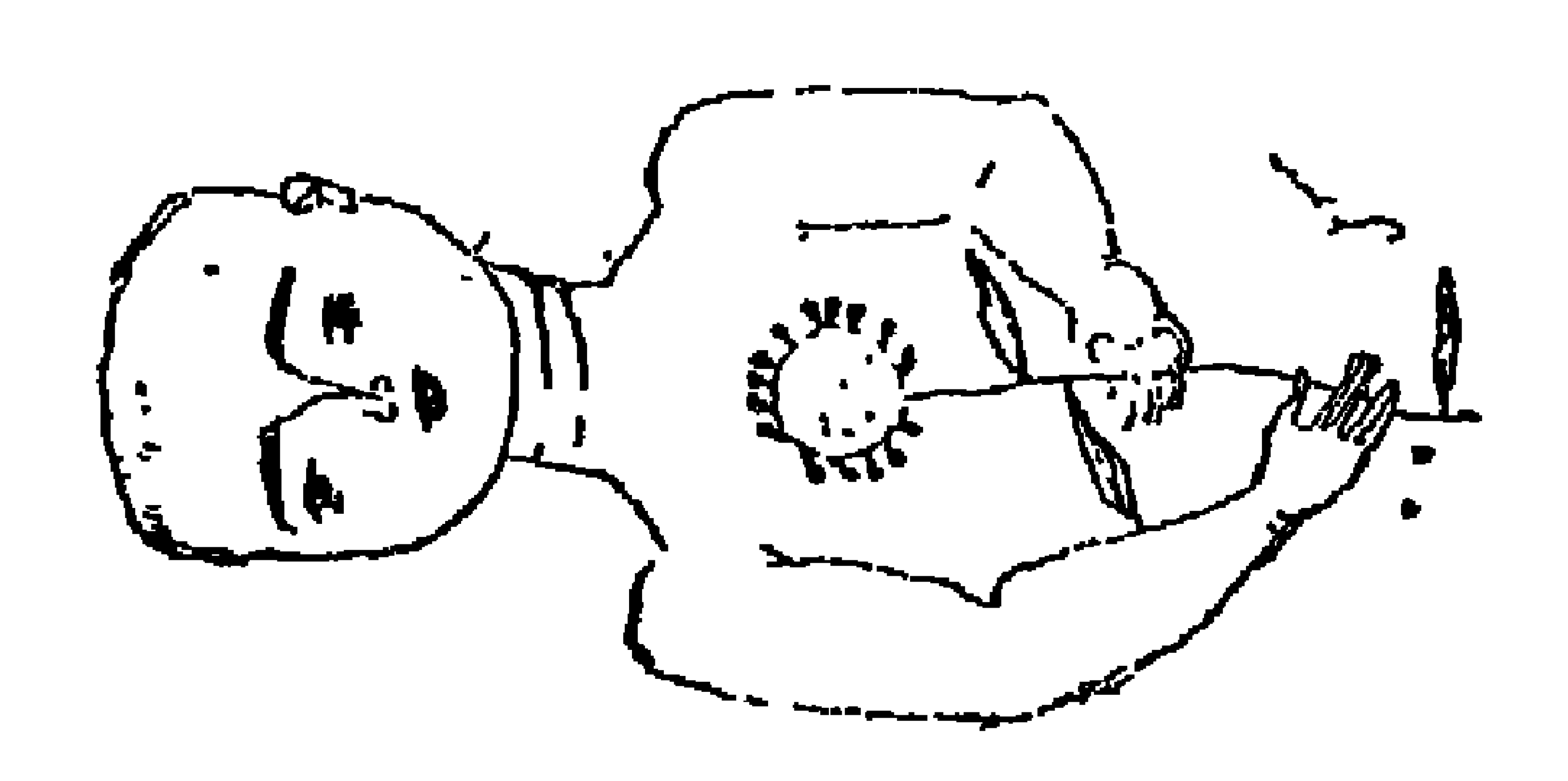
فـتـحـت شـبــاكـى لـشــمس الـصــبـاح
مـا دخلش منـه غيــر عـويــل الـريــاح
وفـتـحــت قلبى عــشــان أبــوح بــالألـم
مــاخـرجش منـــه٠ غيـر محبــه وسمــاح
عجبى !!

غمست سنبك فى السواد ياقلم
علشان ما تكتب شعر يقطر ألم
مالَك جرالك إيه يا مجنون ... وليه
رسمت وردة وبيت وقلب وعَلَم
عجبى !!



انا الذى عمرى اشتياق فى اشتياق
وقطْر داخل فى محطة فراق
قصدت نبع السم وشربت سم
من كتر شوقى وعشمى فى الترياق
عجبى !!

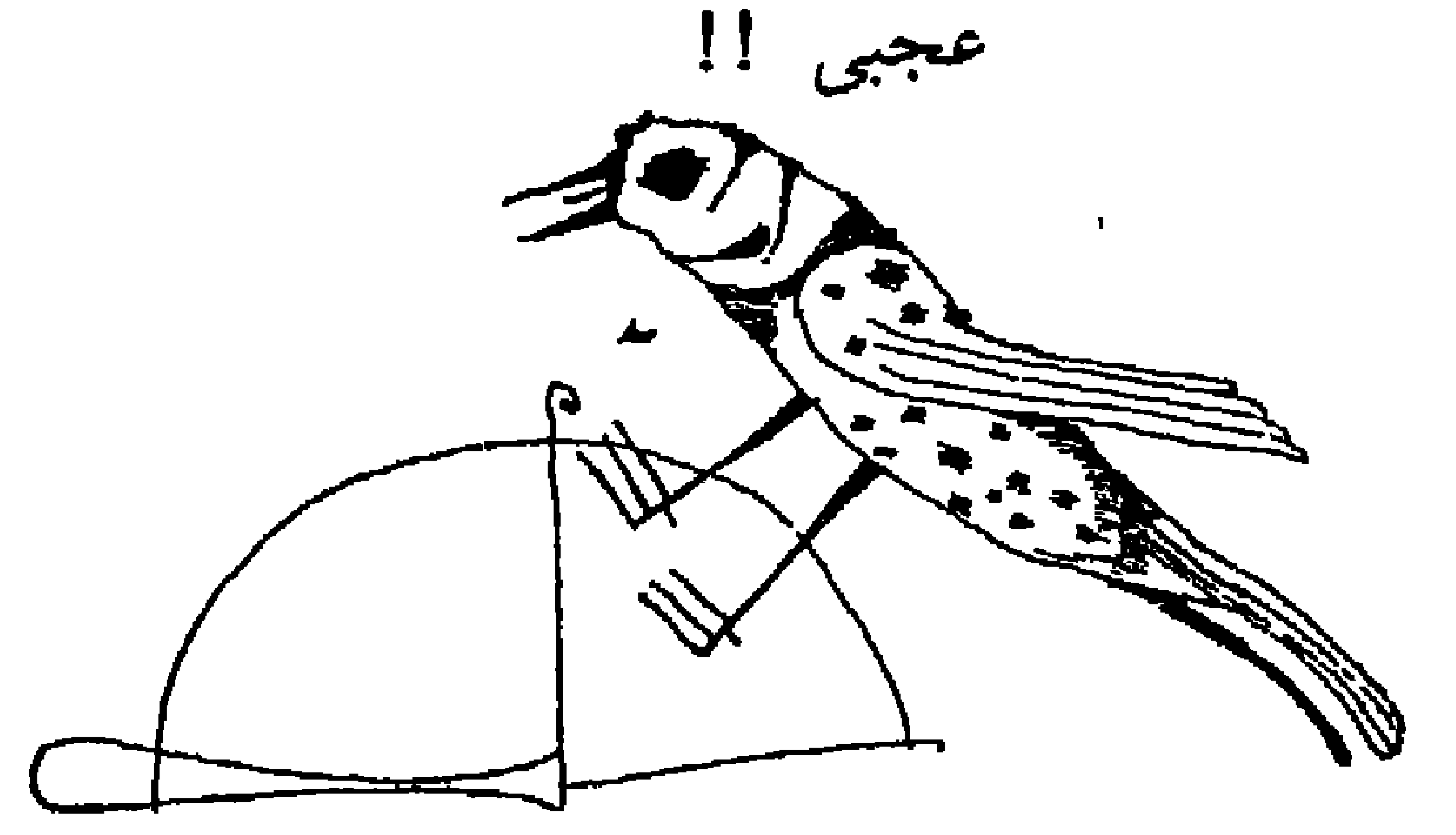
انـا الـذى عشـت الـزمـن مَـضْـيَـعـة
بـروح حـزيـنـة معفًنـة مضـعـضـعـه
زرعـت شـجـرة سـنط لـجـل انـجـرح
لقـيتهـا شَـعـر البـنـت ومـفـرَعـة
عجبى !!



لـو فيه سـلام فى الأرض وطمان وأمن
لو كان مفيش ولا فقر ولا خوف وجبن
لـو يملك الانسـان مصيـر كـل شىء
انـا كنت أجيب للدنيـا مِيت ألف إبن
عجبى !!

العُشب طاطا للنسايم. ونَخّ
أخضر طرى مالهش فى الحُسن أَخ
عصفور عبيط أنا .. غاوى بهجة وغنا
ح انزل هنا .. وانشا الله يهبرنى فخ

عجبى !!



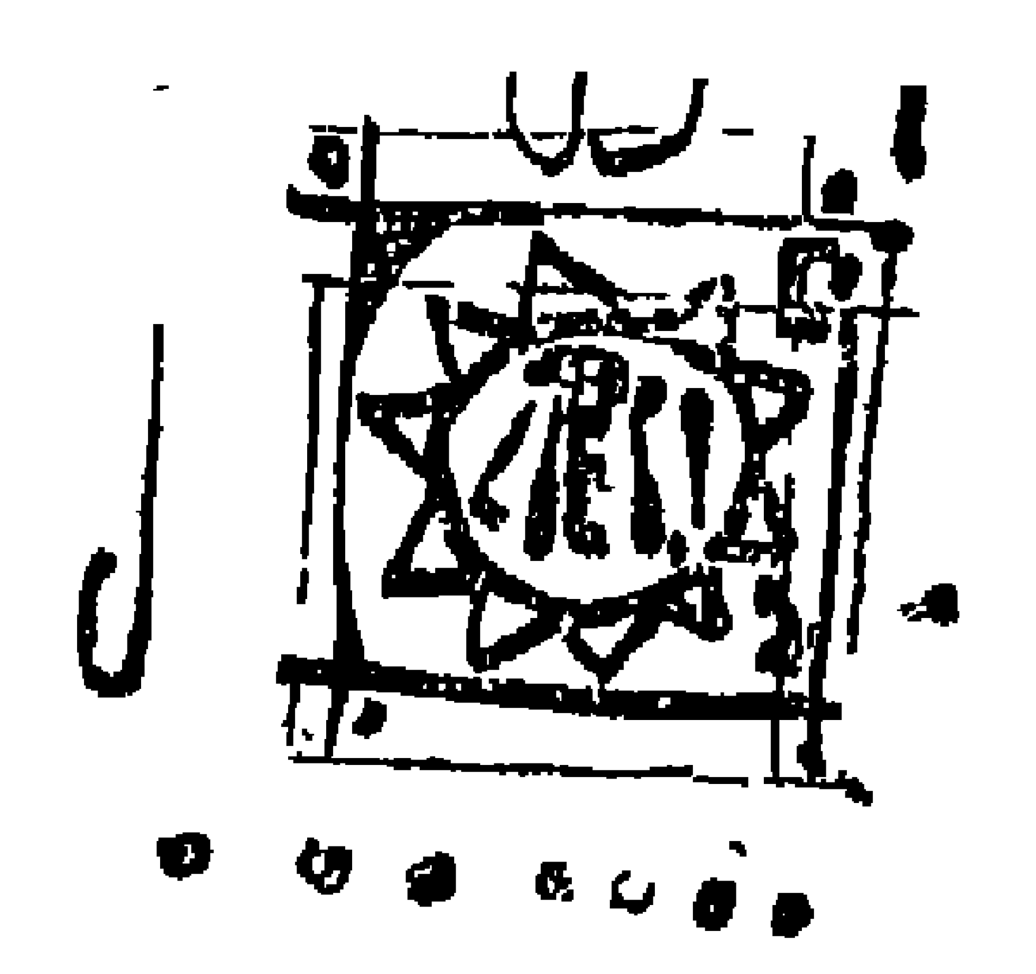
أوصيك يا إبنى بالقمر والزهور
أوصيك بليل القاهرة المسحور
وإن جيت فى بالك .. إشترى عُقد فُل
لأى سمرا ... وقبرى إوعك تزور

عجبى !!

غمض عينيك وارقص بخفة ودلع
الدنيا هىّ الشابّة وانت الجدع
تشوف رشاقة خطوتك تعبدك
لكن انت لو بصيت لرجليك .. تقع
عجبى !!

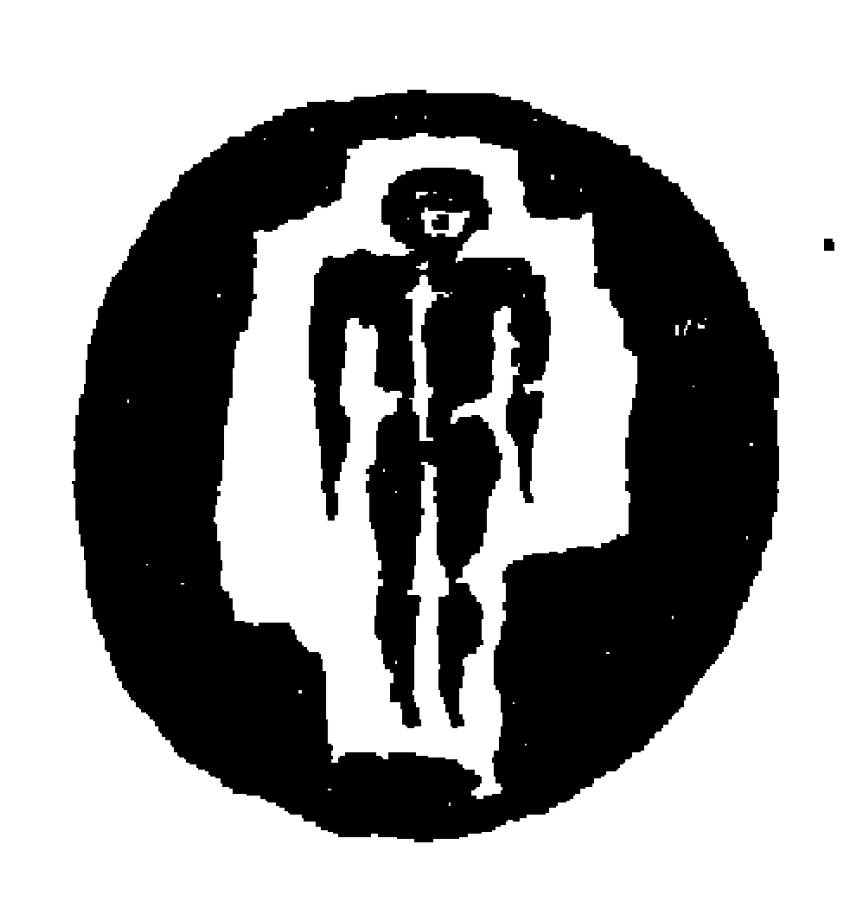
حاسب من الأحزان وحاسب لها
حاسب على رقابيك من حبلها
راح تنتهى ولابد راح تنتهى
مش انتهت أحزان من قبلها ؟
عجبى !!

يأسك وصبرك بين إيديك وانت حر
تيأس ما تيأس الحياه راح تمُرّ
أنا دقت مِنْدا ومِنْدا عجبى لقيت
الصبر مُرّ وبرضك اليأس مُرّ
عجبى !!



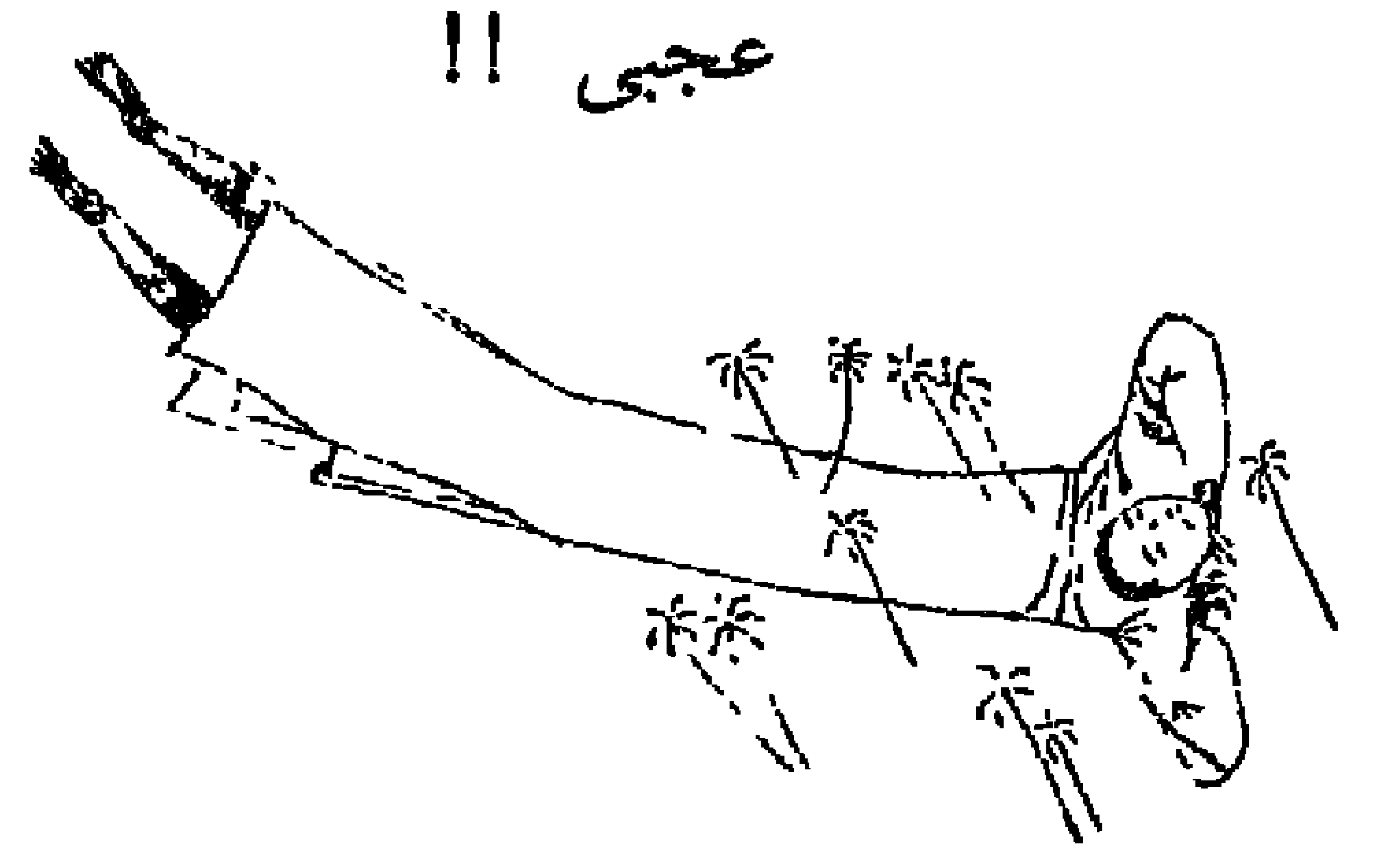
ولدى نصحتك لما صوتى اتنَبَح
ما تخافش من جِنِّى ولا من شَبَح
وان هبّ فيك عفريت قتيل إسأله
ما دافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح ؟
عجبى !!

ولـدى إليك بـدل البـالـون ميت بـالـون
انفــخ وطـرقــع فيــه على كــل لــون
عسـاك تشـوف بعنيــك مصيـر الــرجـال
الـمنفــوخيـن فى الـستــرة والـبـنــطلون
عجبى !!



خُـوض معركتهـا زى جـدّك ما خـاض
صــالـب وقــالب شـفتـك بـامتـعـاض
هىّ كـده .. مـا تنـولش منهـا الأمـل
غيـر بعـد صَــدّ وَردّ ووّجـاع مخــاض
عجبى !!

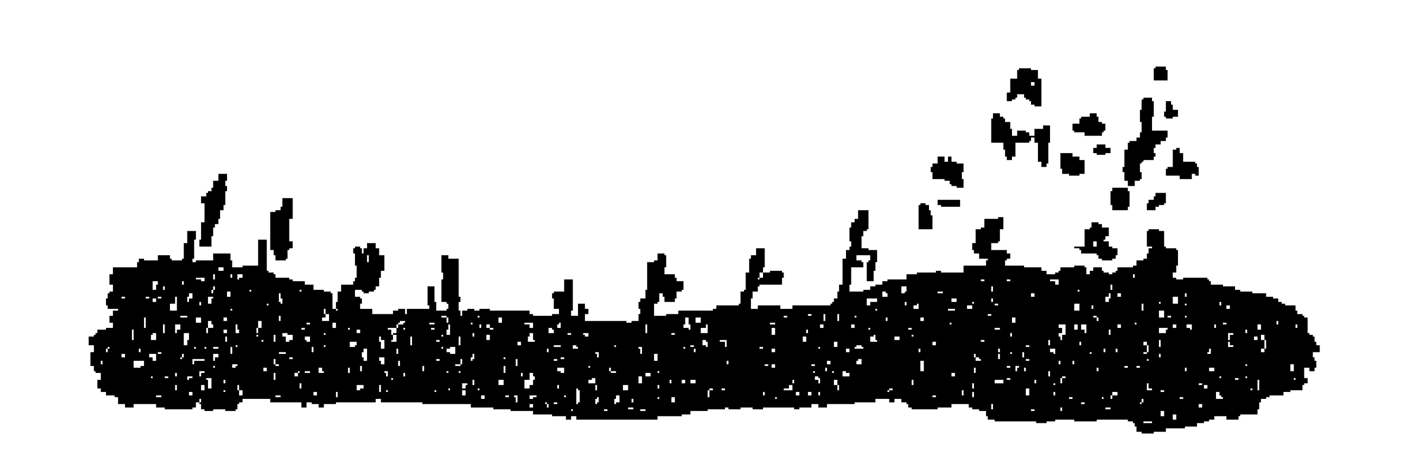
كام اشتغلت يا نيل فى نحت الصخور
مليون بئونه وألف مليون هاتور
يا نيل أنا ابن حلال ومن خِلفتك
وليه صعيبه علىّ بس الأمور
عجبى !!



منين أجيبها كلمه متألمة
لعبيّة فايره حايره ومصممة
منين أجيب كلمة تكون بنت أرض
تشفى اللى ما شفاهوش كلام السما
عجبى !!



أنــا قلت كلمـة وكــان لـهــا معـنيـين
كمـا بـطن واحــده وتــوأمين زين وشين
لـو دنيا شـر .. التــوأم الخيـر يمـوت
لو دنيا خير .. الشر ح يعيش منين ؟
عجبى !!



أنــا اللى بــالأمــر المحــال اغتــوى
شفت القمــر نـطيت لفــوق فى الهــوا
طلتــه مــا طلتــوش إيــه انــا يـهمـنى
وليه ... ما دام بـالنشوة قلبى ارتـوى
عجبى !!

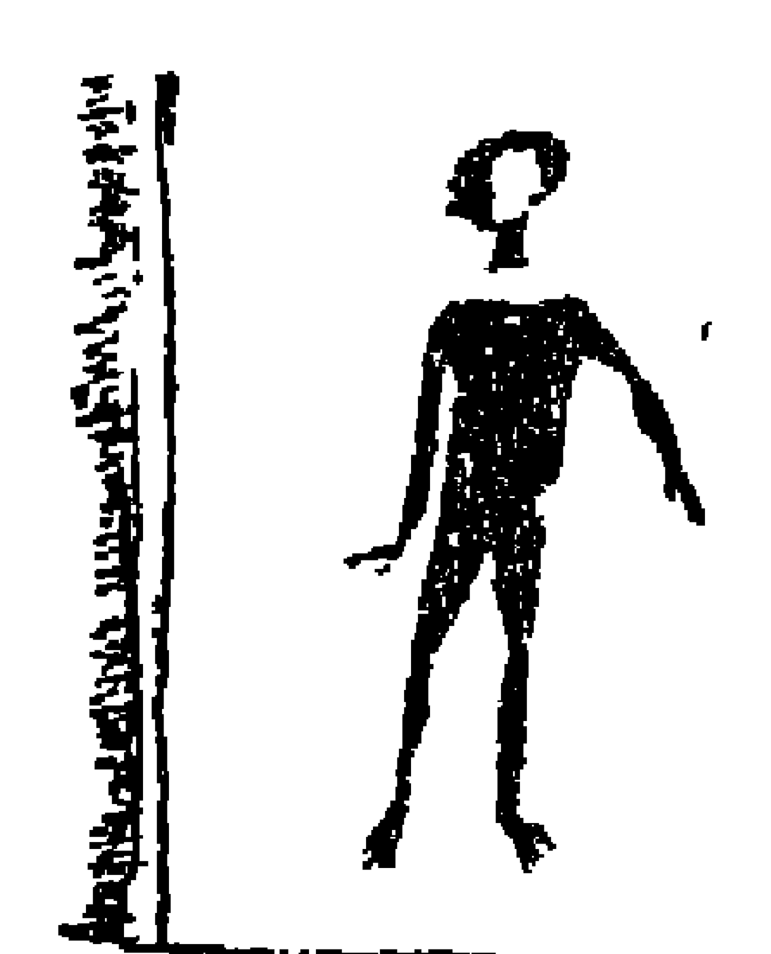
بـرّه القزاز كـان غيم وأمـطار وبـرق
ما يهمنيش ـ انا قلت ـ ولا عندى فرق
غـيّـرت رأيى بـعـد سـاعـة زمـان
وكنت فى الشارع ... وفى الجزمة خرق
عجبى !!



عينى رأت مـولـود على كـتف أُمـه
يـصـرُخ تهنّن فـيـه يصـرخ تـضـمُّـه
يصرخ تقـول يـا بْنى مـا تنـطق كـلام
ده اللى مـا يتكلمش يـا كتـر همُّـه
عجبى !!

يا عندليب ماتخافش من غنوتك
قول شكوتك واحكى على بلوتك
الغنوه مش ح تموتك إنما
كتم الغنا هو اللى ح يموّتك

عجبى !



يا للى بتبحث عن إله تعبده
بحث الغريق عن أى شىء ينجده
الله جميل وعليم ورحمن رحيم
إحمل صفاته ... وانت راح توجده

عجبى !!

حقـرا وفـوق كـوكب حقيـر مـحتـقـر
فى الكـون تكون دنياكـو إيـه يـا بَقَـر
رملايه من صحرا ؟ .. لكين إيش تقول
والكـون بحـالـه جـوّه عقـل البشـر
عجبى !!



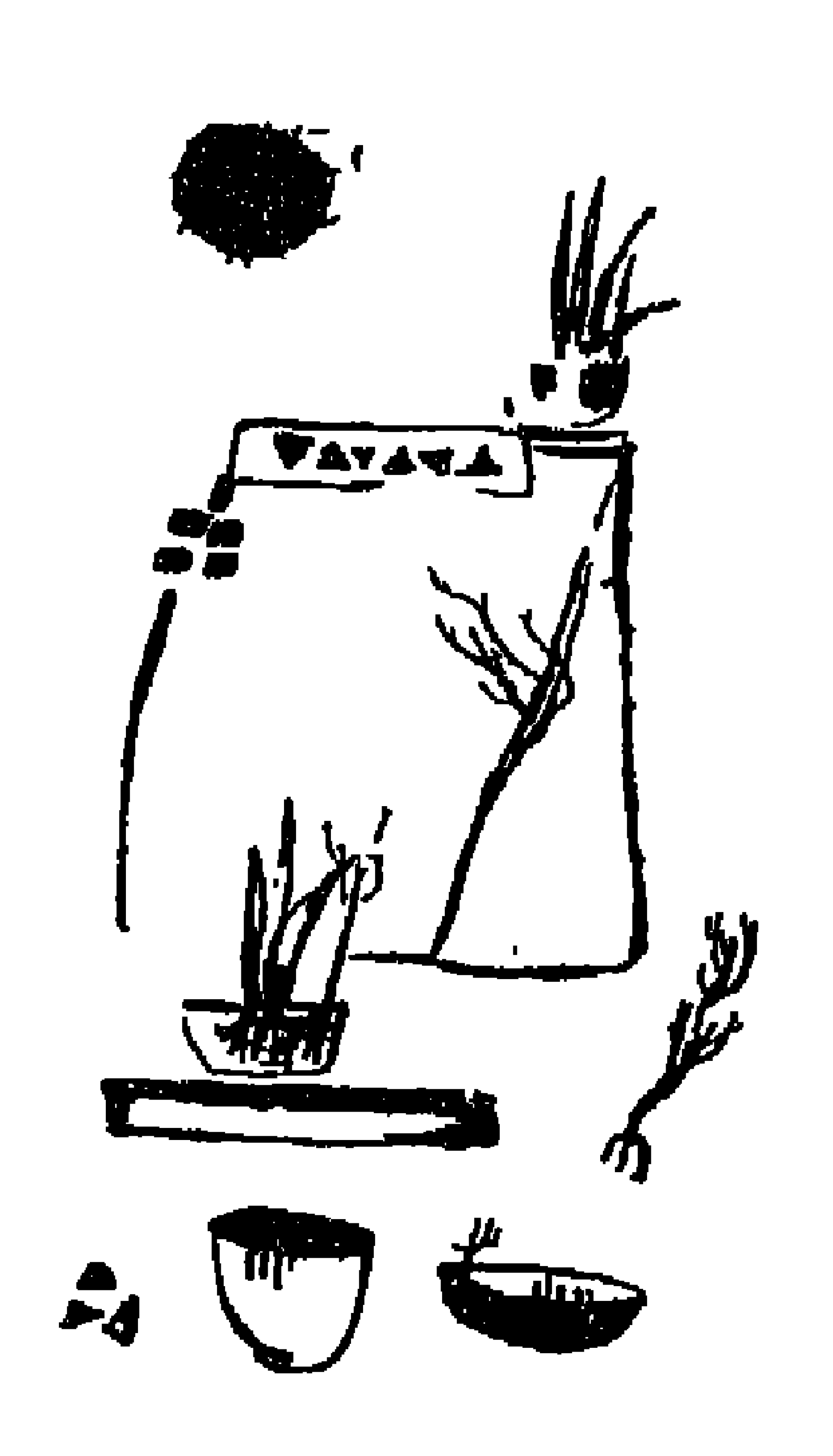
لا تـجبـر الإنـسـان ولا تـخـيّـره
يكفيـه مـا فيـه من عقـل بيحيّـره
اللى النهـارده بيـطلبـه ويشـتـهيـه
هـو اللى بكـره ح يشتهى يغـيّـره
عجبى !!

يـا للى ف حماه الشمس تلقى المـلاُذ
وألف بكره وبكره ... فى ضلوعه لاذ
مين انت ؟ مارد ؟ رب ؟ قال لأً ده بس
انـا اللى باروى القمـح واسقى الفـولاذ
عجبى !!

غَسَـل المسيح قـدمك يـا حـافى القـدم
طـوبى لمـن كـانـوا عشـانـك خَـدَم
صـنعـت لـك نعـليـك أنـا يـا أخى
مستنى إيـه .. ما تقـوم تدوس العَـدَم
عجبى !!

البط شال عدّى الجبال والبحور
ياما نفسى اهجّ ... أحج ويا الطيور
أوْصيك يا ربى لما اموت ... والنبى
ما تودّنيش الجنة ... للجنة سور

عجبى !!



طال انتظارى للربيع يرجع
والجو يدفا والزهور تطلع
عاد الربيع عارم عرمرم شباب
إيه اللى خلانى ابتديت افزع؟
عجبى!!

ولو انضنيت وفنيت وعمرى انفرط
مش عاوز الجأ للحلول الوسط
وكمان شطط وجنون مانيش عاوز
يامين يقول لى الصح فين والغلط؟
عجبى!!

عاد الربيع كأنه طعم الحب
والحب نار جوه العروق بتصب
اتمتع ازاى بيه وانا متقطع
من كتر خوفى لا فى الخطيئة يطب؟
عجبى !!

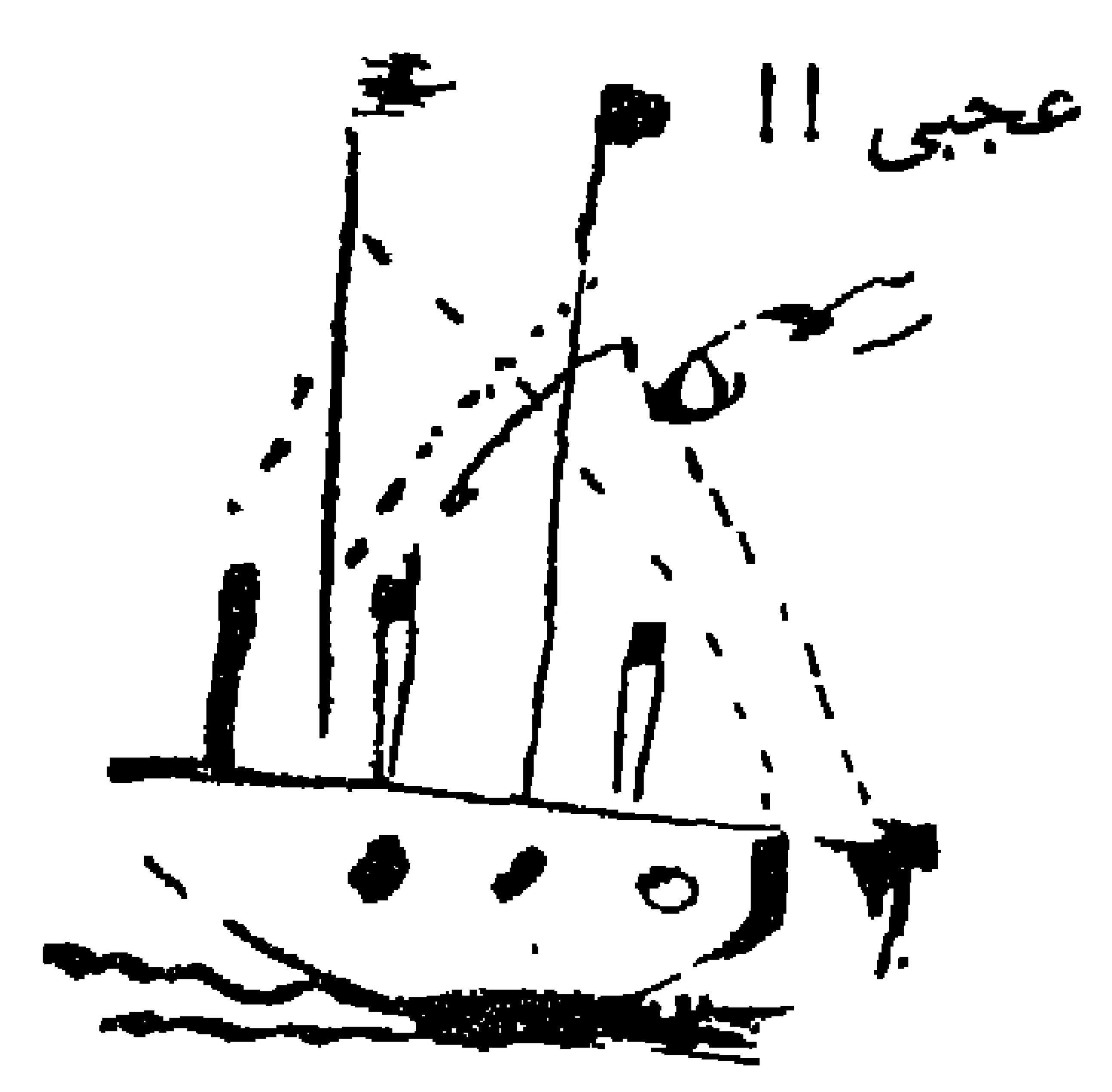
ازاى شبابنا يقوم وياخد دوره
من غير صراخ يئذيه ويجرح زوره
ياهلترى أحسن له يقعد ساكت
أو ينترك ولو خرج عن طوره؟
عجبى !!

عينى رأت عصفور ووياه ابنه
بيحدفه في الريح وياخده فـ حضنه
نوبتين وتالت نوبه - عجبى عليهم -
كانوا سوا بيرفرفوا ويغنوا
عجبى !!



أحسن ما فيها العشق والمعشقة
وشويتين الضحك والتريقة
شفت الحياة ، لفيت ، لقيت الألذ
تغييرها ، وده يعنى التعب والشقا
عجبى !!

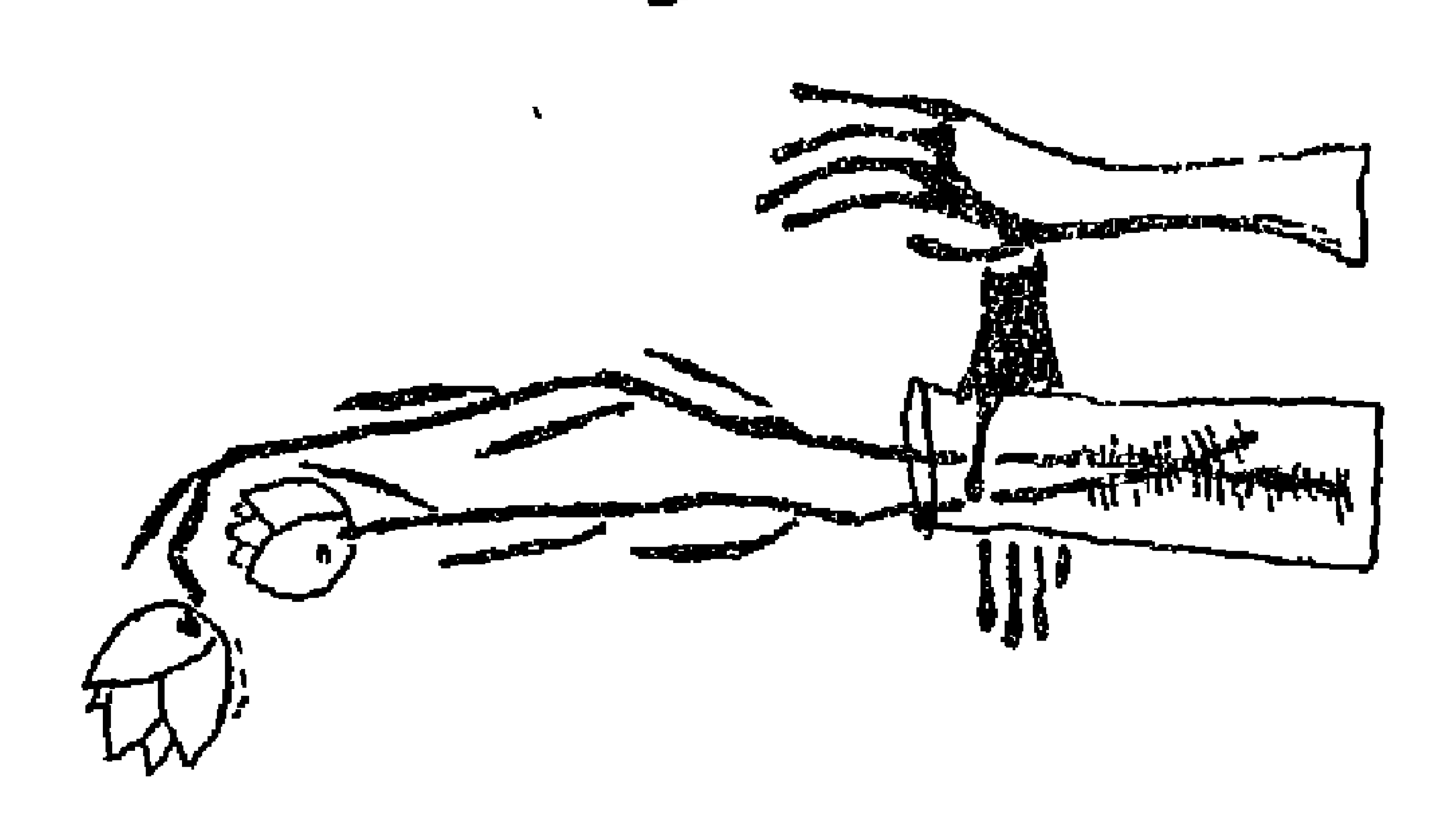
عجبى على العجب العجيب العجاب
لما الحقيقة تطل بعد احتجاب
وتروق وتحلا وفجأة تصبح مفيش
كمثل طراطيش بحر ياما خد وجاب
عجبى !!



فى الهوّ ماشى يا بهلوان إش إش
يا فراشة منقوشة على كل وش
شقلبت عقلى وعقلى شقلبنى
وكنت باحسبنى بقيت ما اندهشّ
عجبى !!

وقفت ساعة الصبح باغسل سنانى
قالت لى شايف قوتى ولمعانى ؟
إيش تطلب اليوم منى ضحكة أسد ؟
والا ابتسامة اعلانات أمريكانى ؟

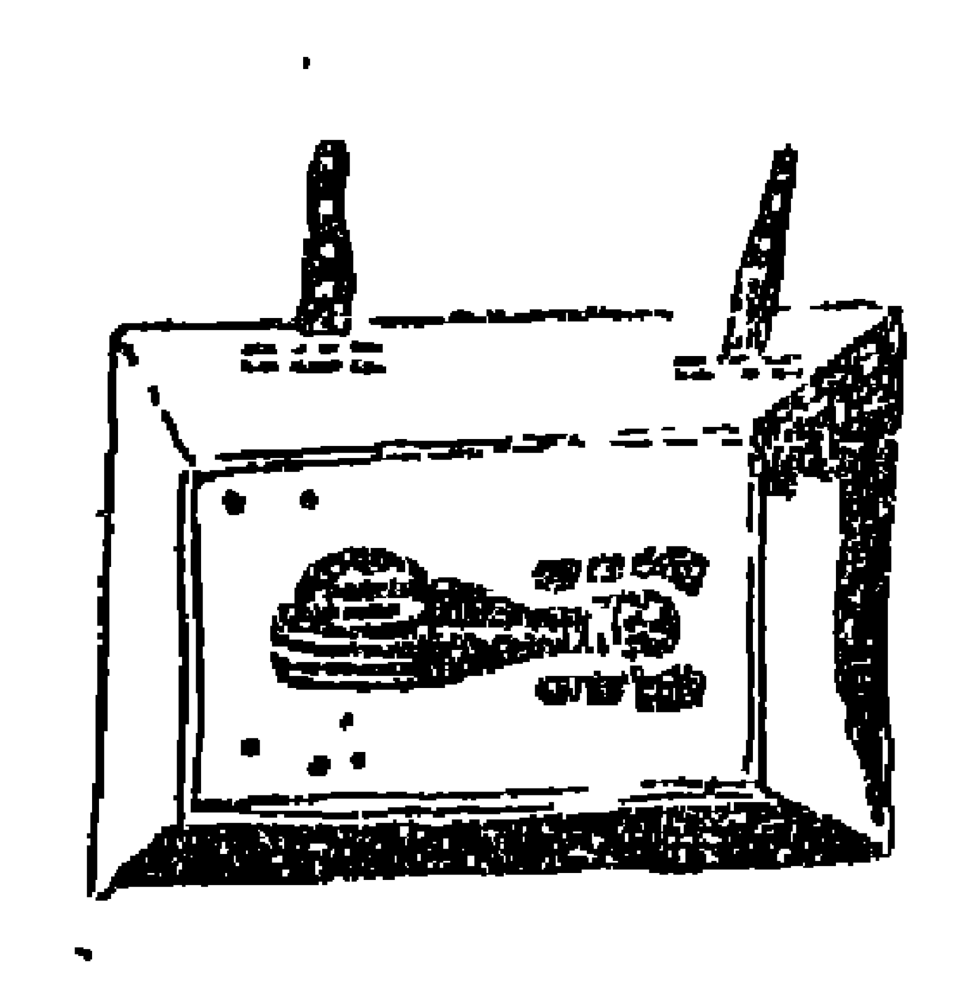
عجبى !!



الحلو يمّ اليمّ صابح رايح
سارح فى حضن الميه سابح سايح
الحلو داب فى البحر . قلت أدوقه
وجدت لسه البحر برضك مالح

عجبى !!

يا كل كلمة للعجب فى قاموس
انسكلوبيديا لسان عرب أو لاروس
تعالوا نجدة . ده لسه في عصرنا
الشمس والبحر العريض بالفلوس
عجبى !!



الموج تلول تهبط وتطلع تلول
يا بحر خدنى الشط صاحبك ملول
والا بلاش الشط ح اعمل به ايه
ده ريحته طحلب مهرى وام الخلول
عجبى !!

عينى رأت مخلوق فى غاية البشاعة
أنا قلت له لما تأملته ساعة :
اللذة والموت علموك اللّزَج
وانا علمونى الفلسفة والشجاعة
عجبى !!



غطس وقب الموج نهود بمسبى
من ألف جيل جمالات ماتعلم بى
يا قلبى عيب دول أمهاتنا القدام
استغفر الله العظيم ربى
عجبى !!

عّلقت فى المسمار قناع مهزلة
ومعاه قناع مأساة بحزنه ابتلا
بصيت لقيتهم يشبهوا بعضهم
واهو ده العجب ياولاد . وإلا فلا
عجبى !!



ظهر المسيح الحى على سفح ربوة
ونزل بهالة الضىّ وقعد فى قهوة
بُصوا . تعالوا . قالوا خليه فى حاله
الناس فى حالهم يا بنى . مالهمش دعوة
عجبى !!

لولا اختلاف الرأى يا محترم
لولا الزَلَطتين ما لوقود انضرم
ولولا فرعين ليف سوا مخاليف
كان بيننا حَبْل الود كيف اتبرم ؟
عجبى !!



يا وردة قلبى معاكى فى الريح لعب
لا تعبتى م الريح ولا قلبى تعب
احنا كده : نرتاح فى صخب الجنون
وفى السكون بنخاف قوى ونترعب
عجبى !!

مــا انتـاش بتلعب ليــه يـا روح بـابـا ؟
ولا عسكــرى ولا لص فى عصــابــة ؟
إلعب أســد أوْ ديب رهيــب أو غــزال
دى الـدنيـا فى نهـايـة المـطاف غـابــة

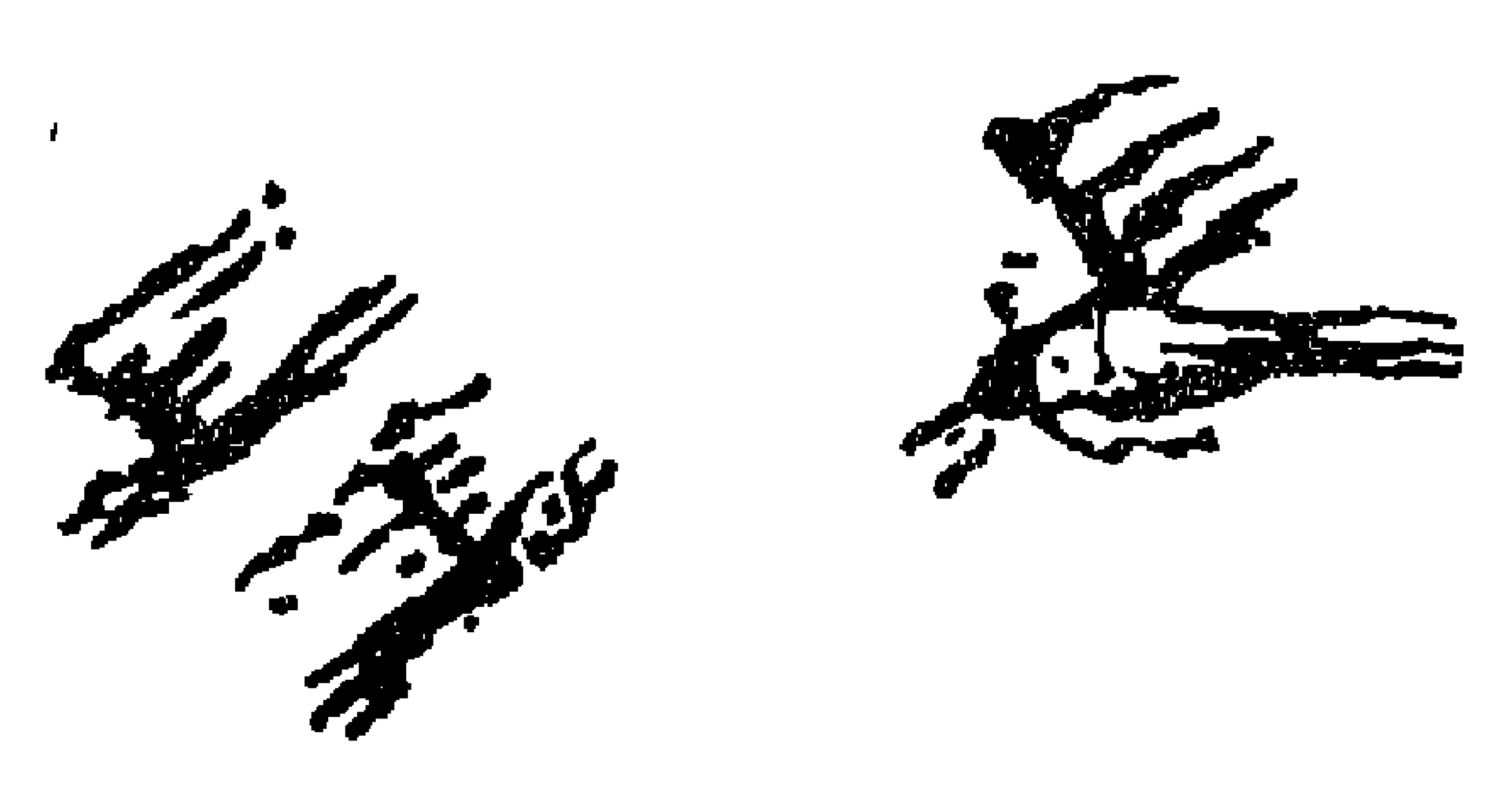
عجبى !!



ورد ف ورق سلوفان يا حلوة اهديلك ؟
والّا انقله بــالـطين فى شتلة واجيلك ؟
الأولانـــى لـــو وحـــا بـــحـــنــانـــى
عجبى على التــانى بـإيــه يــوحيلك ؟

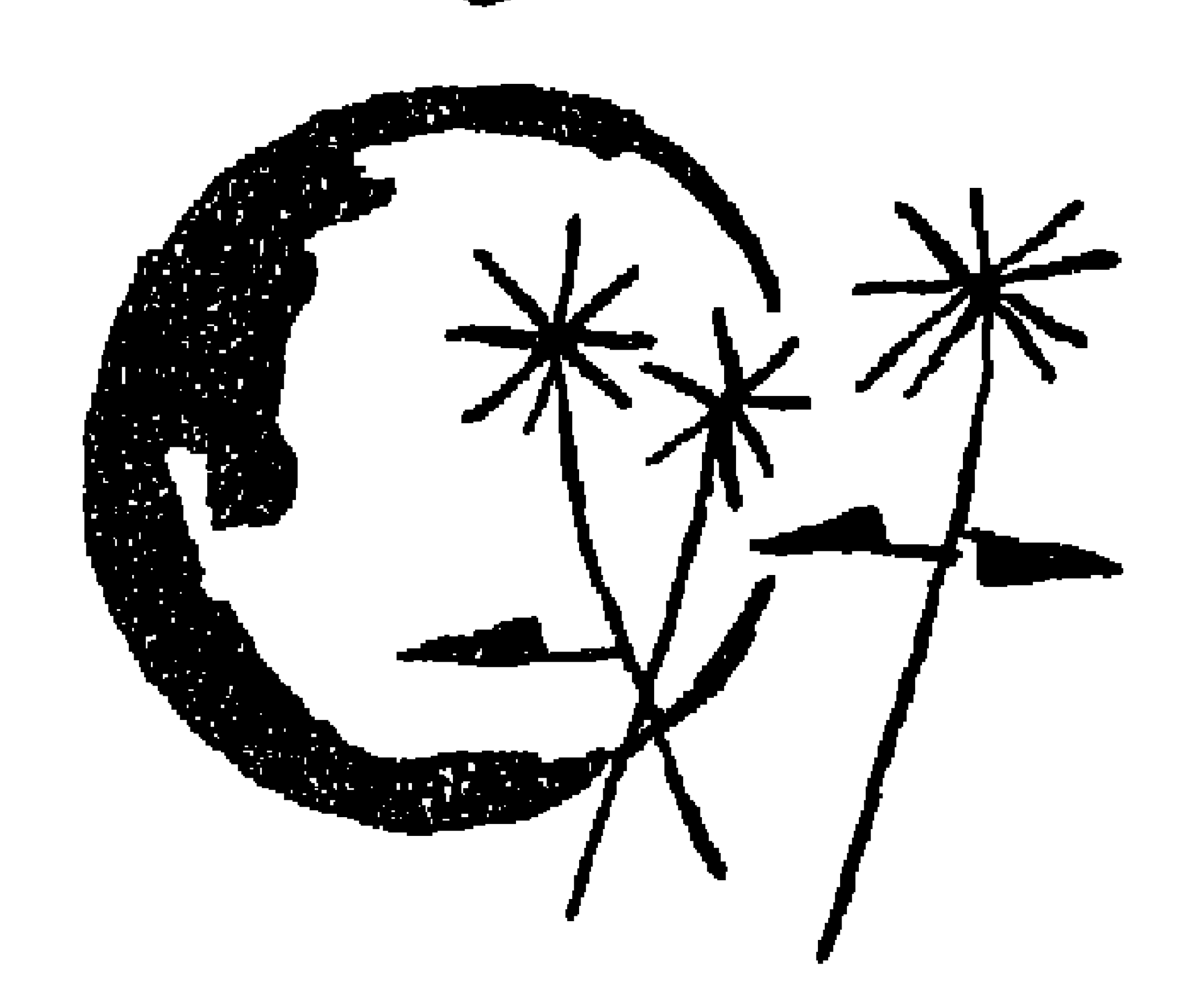
عجبى !!

أنـا قلبى كـوكب وانـطلق فى المـدار
حـواليكى يـا محبـوبتى يـا نـور ونـار
يـلف مـهـمـا يلف مـابـيكـتفـيش
وتـمللى نـصـه لـيـل ونـصـه نـهـار
عجبى !!



الأرض شـوك أيـوه لـكـيـن هـايش
والحُمـرة مش يعنى الـطريق حـايش
دى دمنـا السيـال . وبُشـرة خيـر
ان انتى عـايشة . وان أنـا عـايش
عجبى !!

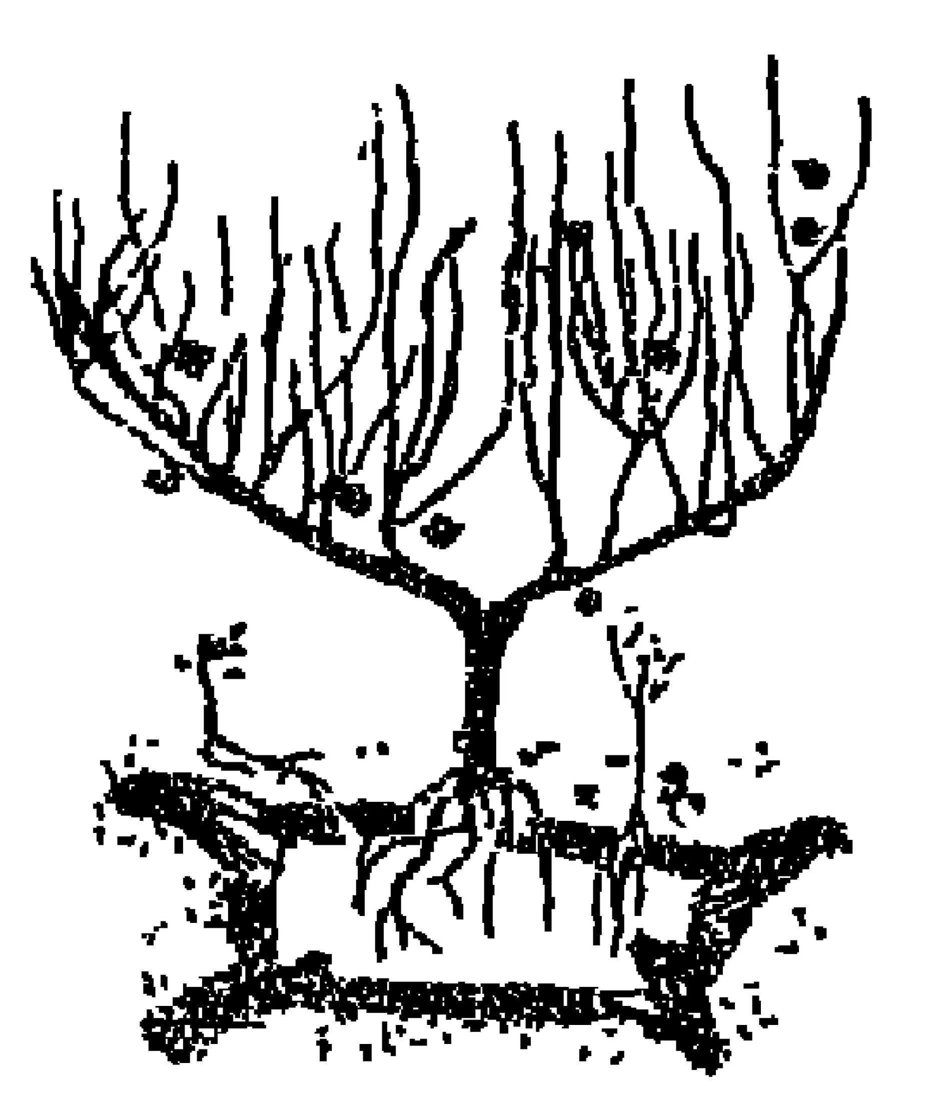
إيه اللى خدته من مرور السنين
يا قلبى الا دمعتك والأنين
بتئن ويتفرح وترجع تحن
مع إن مش كل البشر فرحانين
عجبى !!



اوقات افوق ويحل عنى غبايا
واشعر كأنى فهمت كل الخبايا
وافتح شفايفى عشان أقول الدرر
ما أقولش غير حبة غزل فى الصبايا
عجبى !!

مركب ورق من نفخة تتطوح
ركبتها والكل بيلوّح
سوّحت فيها اتنين وخمسين سنه
للآن . ولا بتغرق ولا تروّح

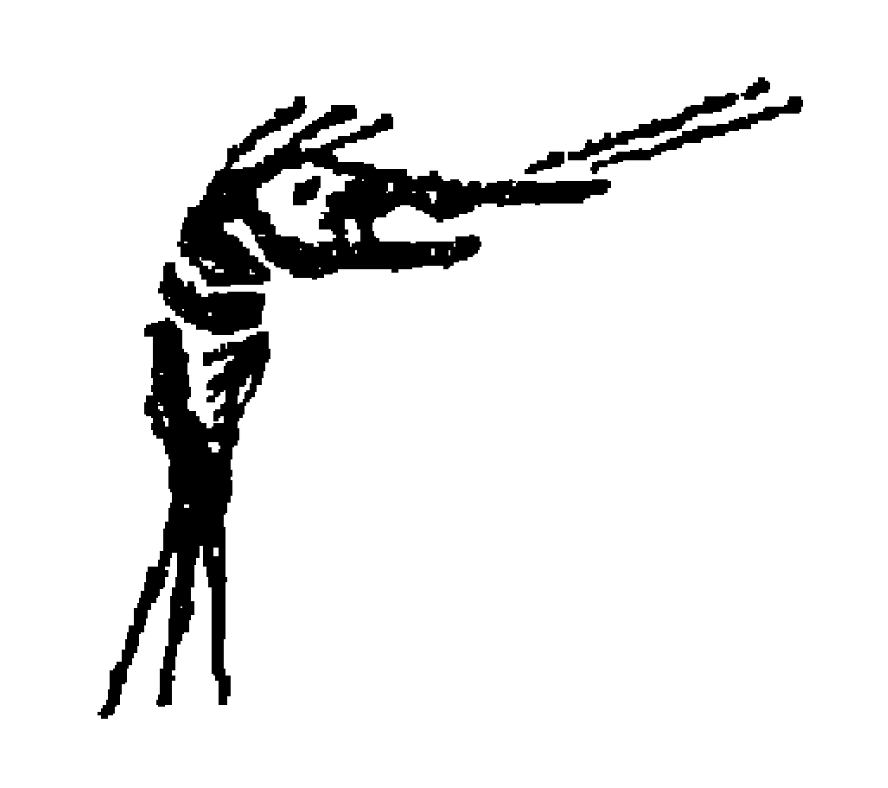
عجبى !!



ع الجسر فُتّ الصبح تحت الضباب
بين اللى لسه بينغرس واللى طاب
ما اهتز قلبى لنبت طالع جديد
قد اللى ماشى . وتحت باطه الكتاب

عجبى !!

يا خالق الكون بالحساب والجبر
وخالقنى ماشى بلختيار والجبر
كل اللى حيلتى زمزمية أمل
وازاى تكفّينى لباب القبر؟
عجبى !!





قاعدة قنانى الخمر ساكتة وساهية
مع ابن آدم فى الشبه مُتناهية
مفيش كده رَوَقان فى لحظه تشوفهم
وبعدها بلحظه يودوا َف داهية
عجبى !!

حتة محارة وجدتها فى يوم لِقيّة
قالت لى شوف كيف الطبيعة شقية ؟
نظرت للكهف اللى فيها ولقيت
إن الطبيعة كمان .. لا أخلاقية
عجبى !!



بلياتشو قال إيه بس فايدة فنونى ؟
وتلات وقق مساحيق بيلوّنونى
والطبل والزمامير وكتر الجعير
إذا كان جنون زبونى زاد عن جنونى
عجبى !!

نقطة مرارة كمان على مشروبى
دّوبها ياساقى حسب مطلوبى
طعم الحياة . مش برضه فيها وفيها ؟
ليالى وردى ونهارات خرّوبى ؟
عجبى !!



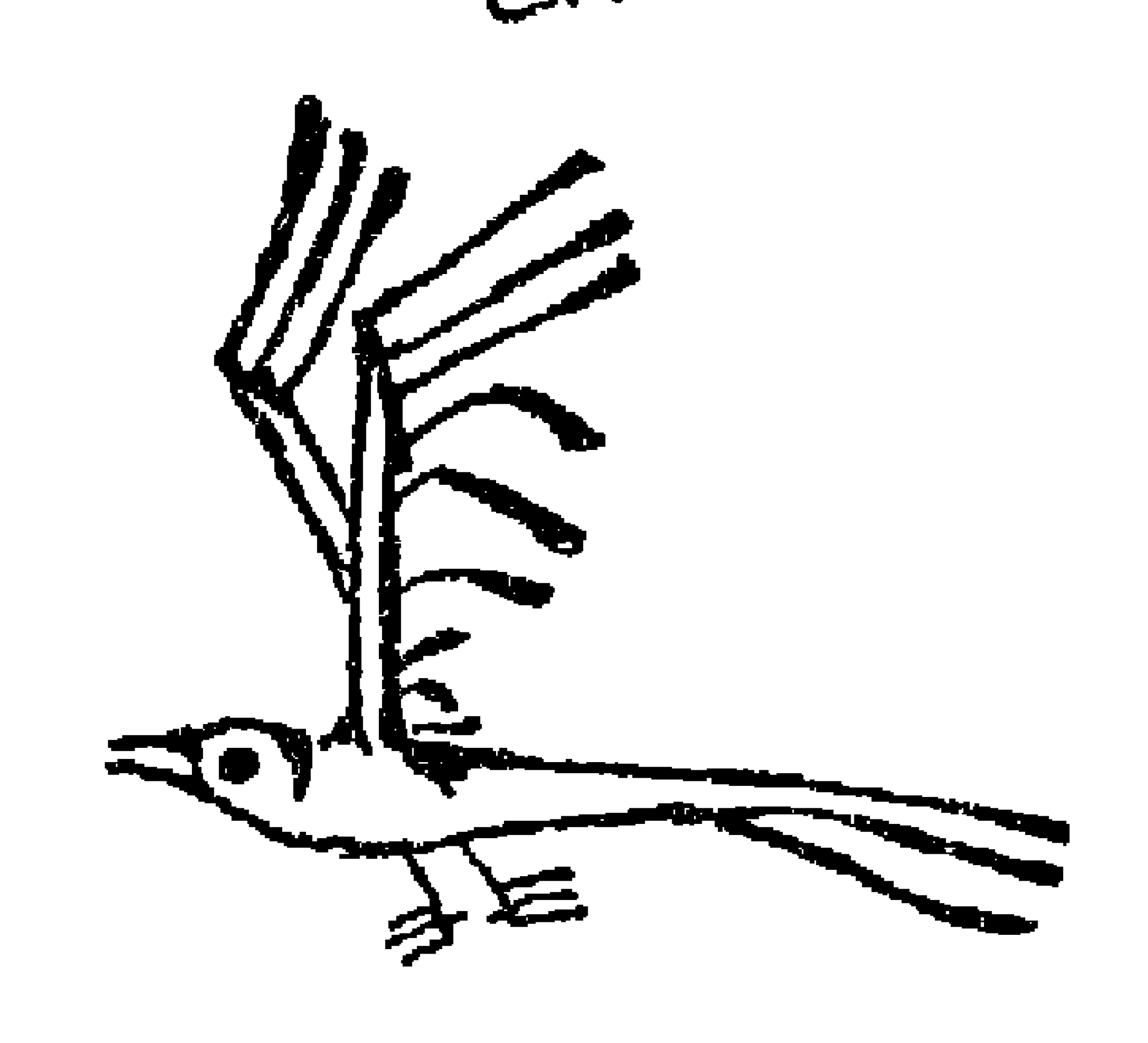
وسط الحطام اتفرجوا ياأنام
تمثال ملك . ومبْولة م الرخام
لتنين نحتهم نفس أسطى الحجر
وكانوا ذات يوم كتلتين لسه خام
عجبى !!

عيــد . والعيــال اتنــططوا ع الـقبــور
لعبــوا استغـمــايــة . ولعــبــوا بــابــور
وبــالـلونــات . ونــايلونــات شـفـتـشـى
والحــزن ح يــروح فين جنب الســرور
عجبى !!



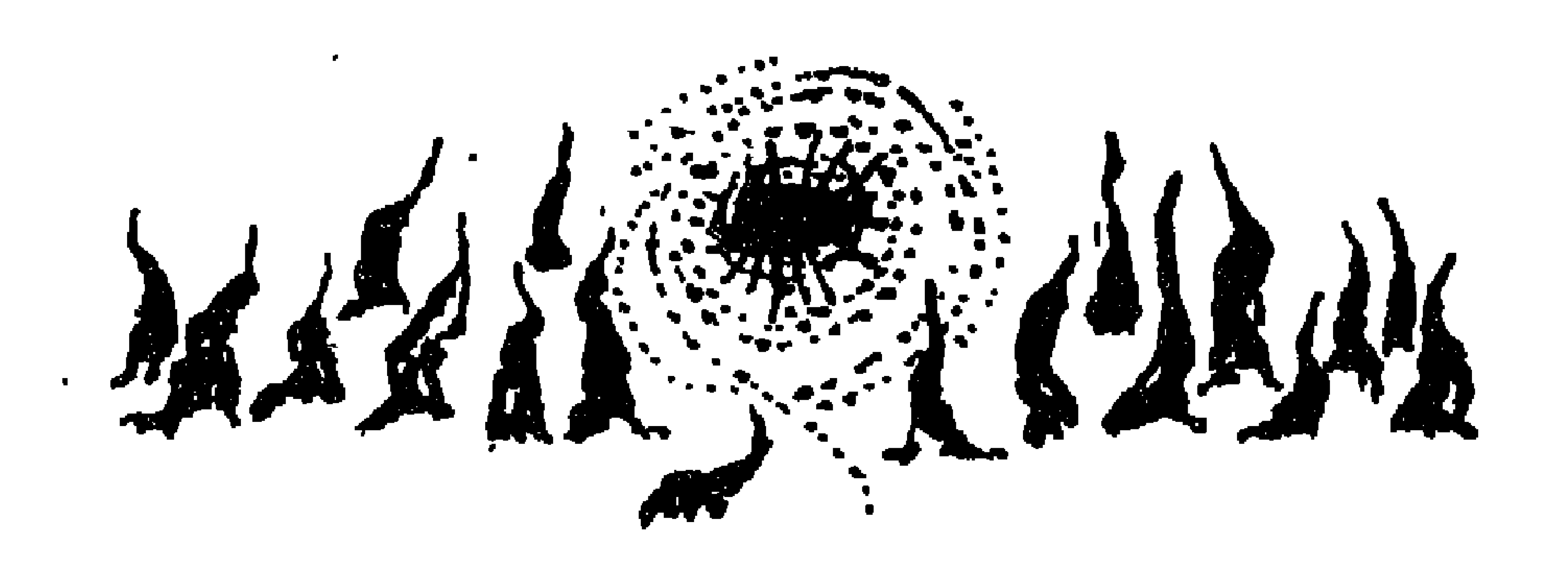
أنــا قـلبـى كـــورة .. والــفـــراودة أكـم
يــامــا اتنــطح وانشــاط .. ويــامــا اتعكم
واقــول لــه كله ح ينتهى فى المعــاد
يقــول بســاعتــك ؟ والا ســاعـة الحكم ؟
عجبى !!

الـضـحــك قــال يــا سـم ع التـكـشـيــر
أمـشـيــر وطــوبــة وانــا ربـيـعـى بشـيــر
مــطـرح مـا بــاظهـر بــانـتصـر ع الـعــدم
انشــالله أكــون رسـمــايـة بــالـسـطـبــاشـيــر
عجبى !!



أهوى الهوى وهمس الهـوى فى العيون
ويـسـمــة الـمـغــرم . ودمـعـــه الحـنــون
وزلــزلات الــحــب نــهــد الــصــبــا
اكــون أنــا المحبــوب . أو لا أكــون
عجبى !!

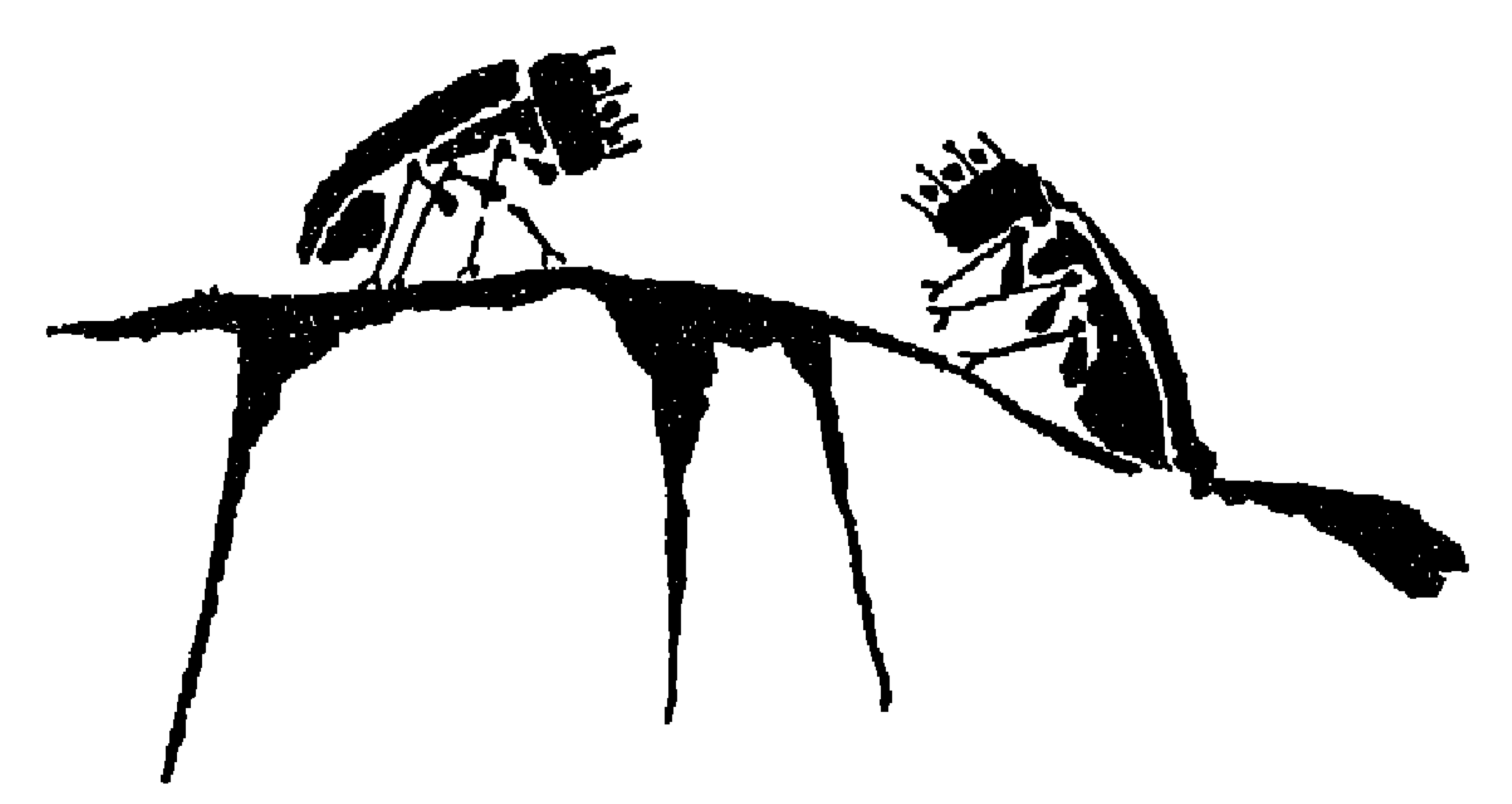
يــا مــلونيــن الـبـيض فـى شــم الــنــسيم
لــون الحنين والشــوق وخمــر الــنــديم
مــاتــعــرفــوش ســايق عــليكــو الــنبى
تــلونــوا الأيــام بــلون الــنــعــيــم ؟
عجبى !!



الـدنيـا صنـدوق دنيـا . دور بعـد دور
الـدكـة هىَّ . وهىَّ كـلّ الـديكـور
يمشى اللى شاف . ويسيب لغيره مكان
كـان عـربجـى أو كـان امـبـراطـور
عجبى !!

قطى العزيز راقد على الكنبات
فى نوم لذيذ .. وبيلحس الشنبات
وانا كلّ عين فنجان مدلدق قلق
صدق اللى قال إن الحياة منابات

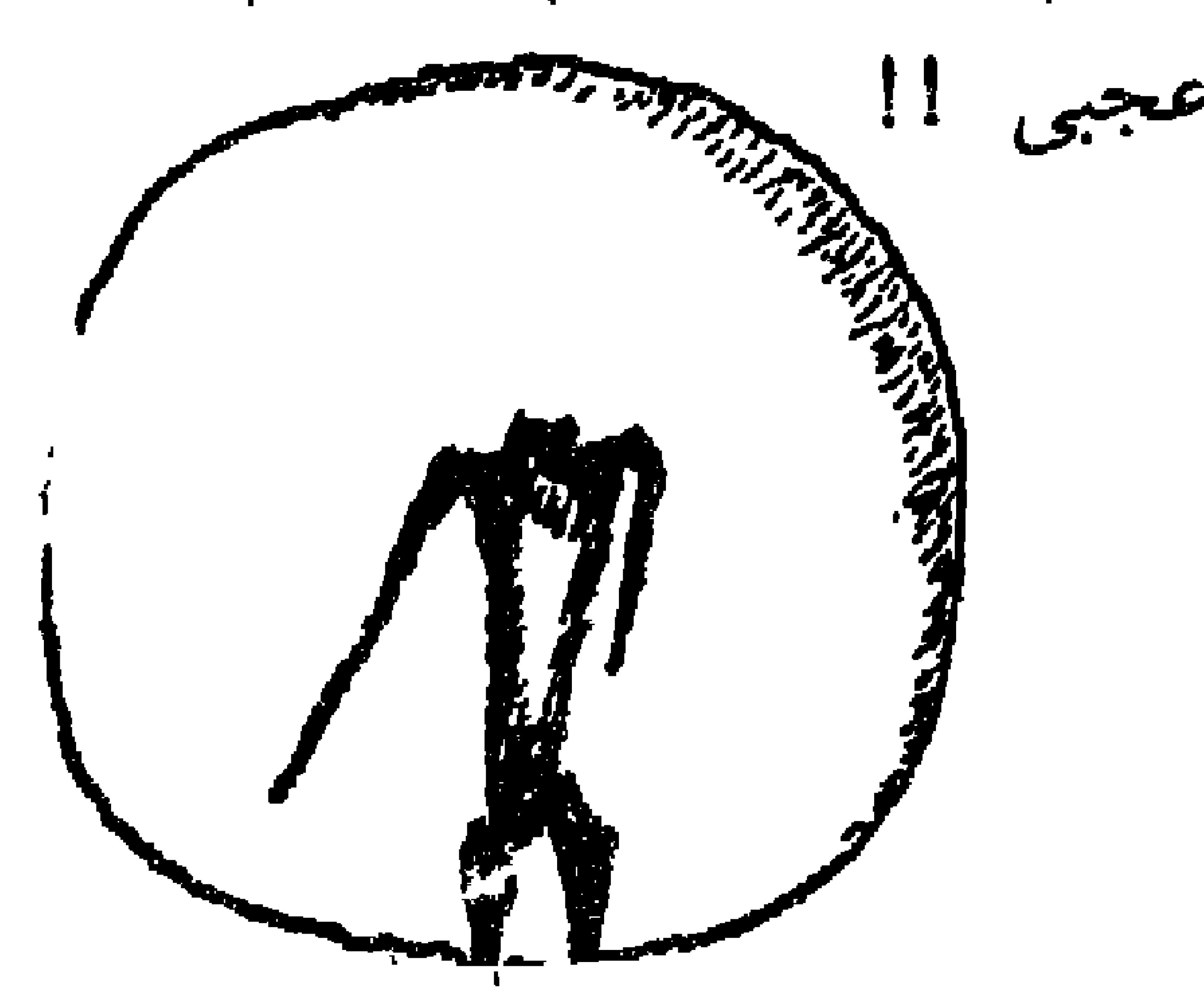
عجبى !!



قالوا السياسة مهلكة بشكل عام
وبحورها يابنى خشنة مش ريش نعام
غوص فيها تلقى الغرقانين كلهم
شايلين غنايم . والخفيف اللى عام

عجبى !!

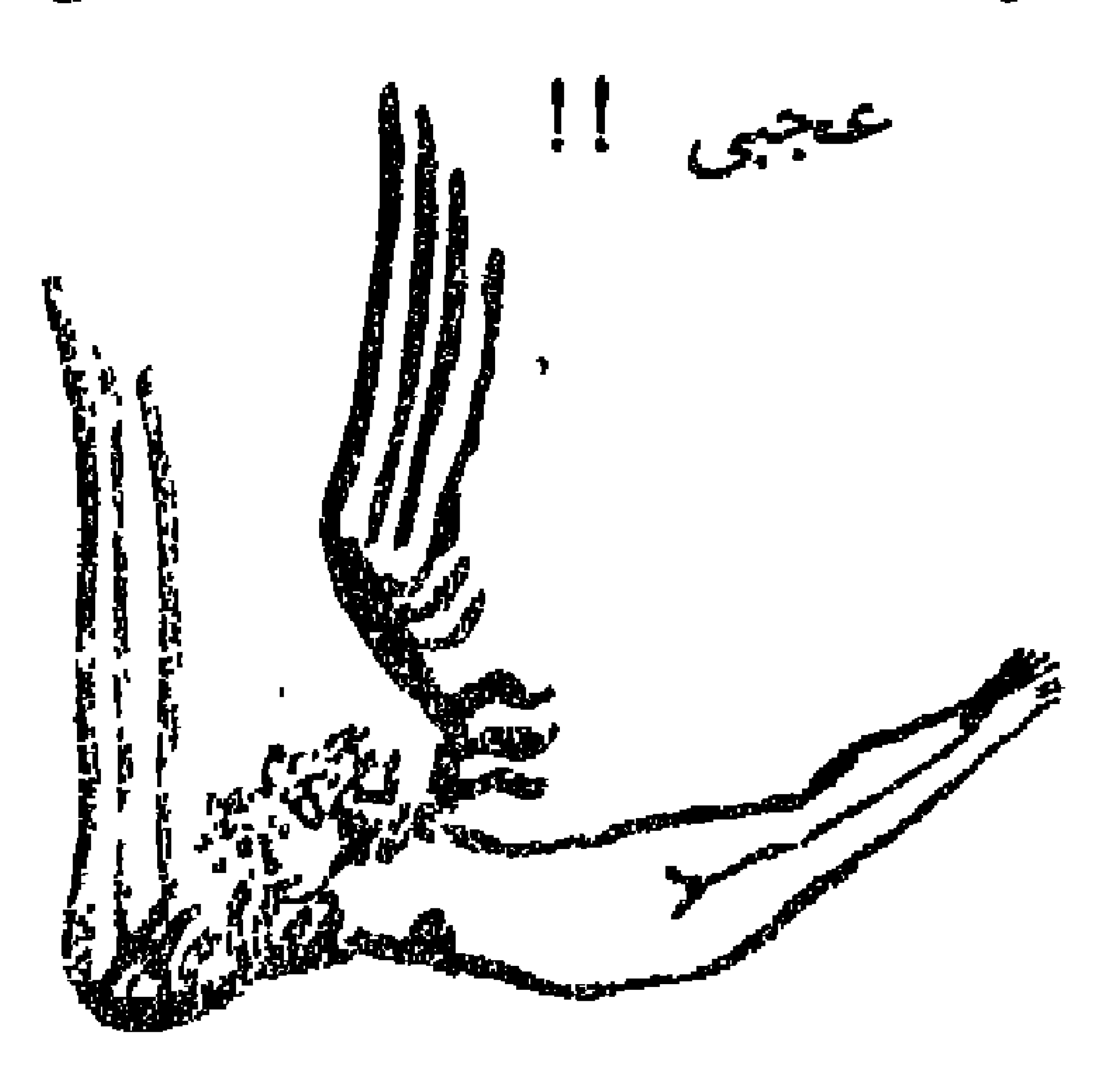
سلام - سلام . . سلام سلام . . سلام
كلام كلام . . كلام كلام . . كلام
هز الورق يا صاحبى كدهوّه
يطلع كلام سلام . وسلام كلام
عجبى !!



فوق تحت . ورا قدام . يمين شمال
فى الجوّ . تحت المية . أو فى الرمال
طَلَب الكمال يحرم على الممكن
والممكنات دول محرومين م الكمال
عجبى !!

هات يا زمان . وهات كمان يا زمان
غير بسمة الشجعان مامنى يبان
هو اللى داقَ الفرحة يوم ثورته
يقدر يعود ولا ثانية للأحزان

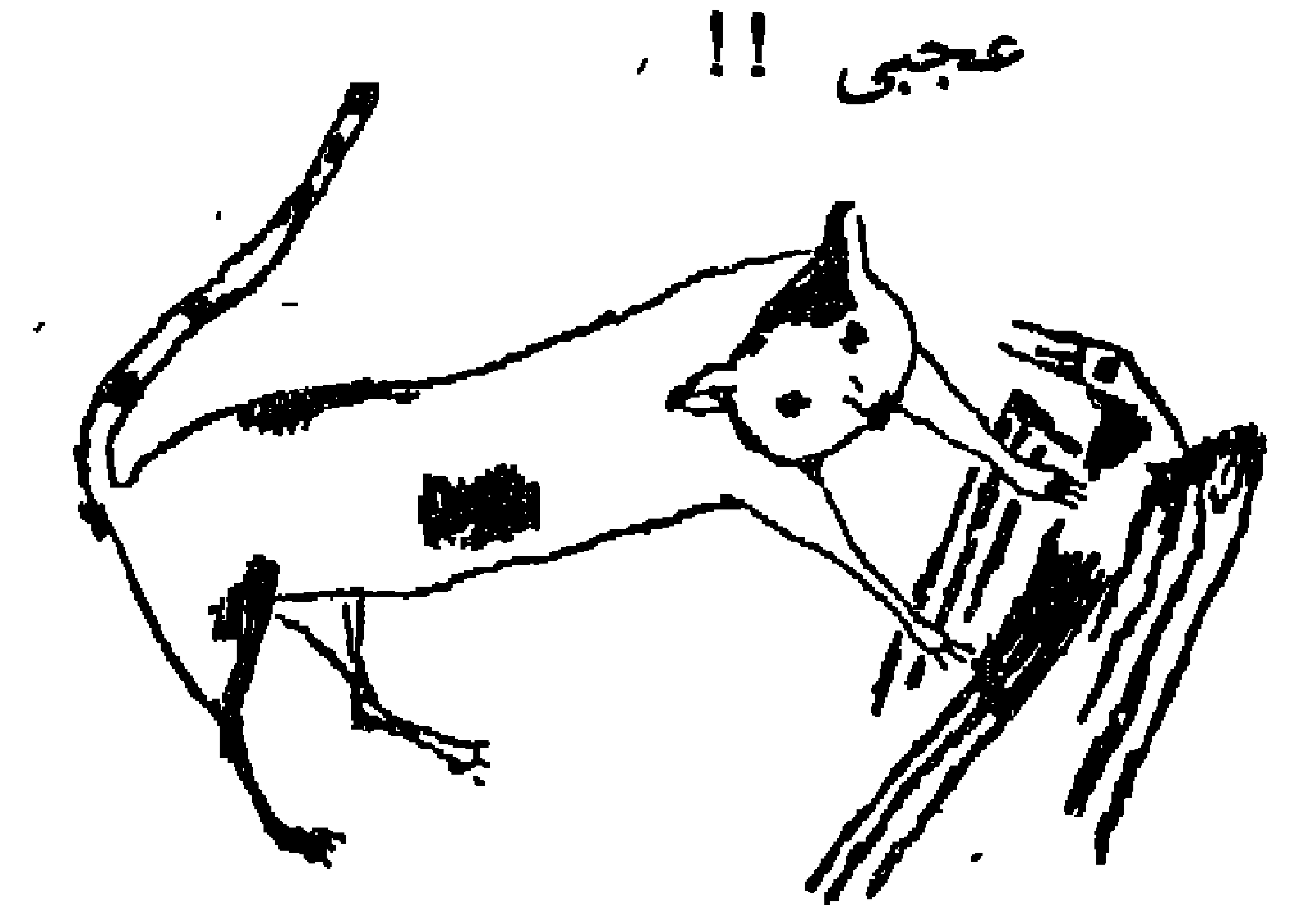
عجبى !!



عبثاً باقول واقرا فى سورة عبس
ماتلومش حد إن ابتسم أو عبس
فيه ناس تقول الهزل يطلع جد
وناس تقول الجد يطلع عبث

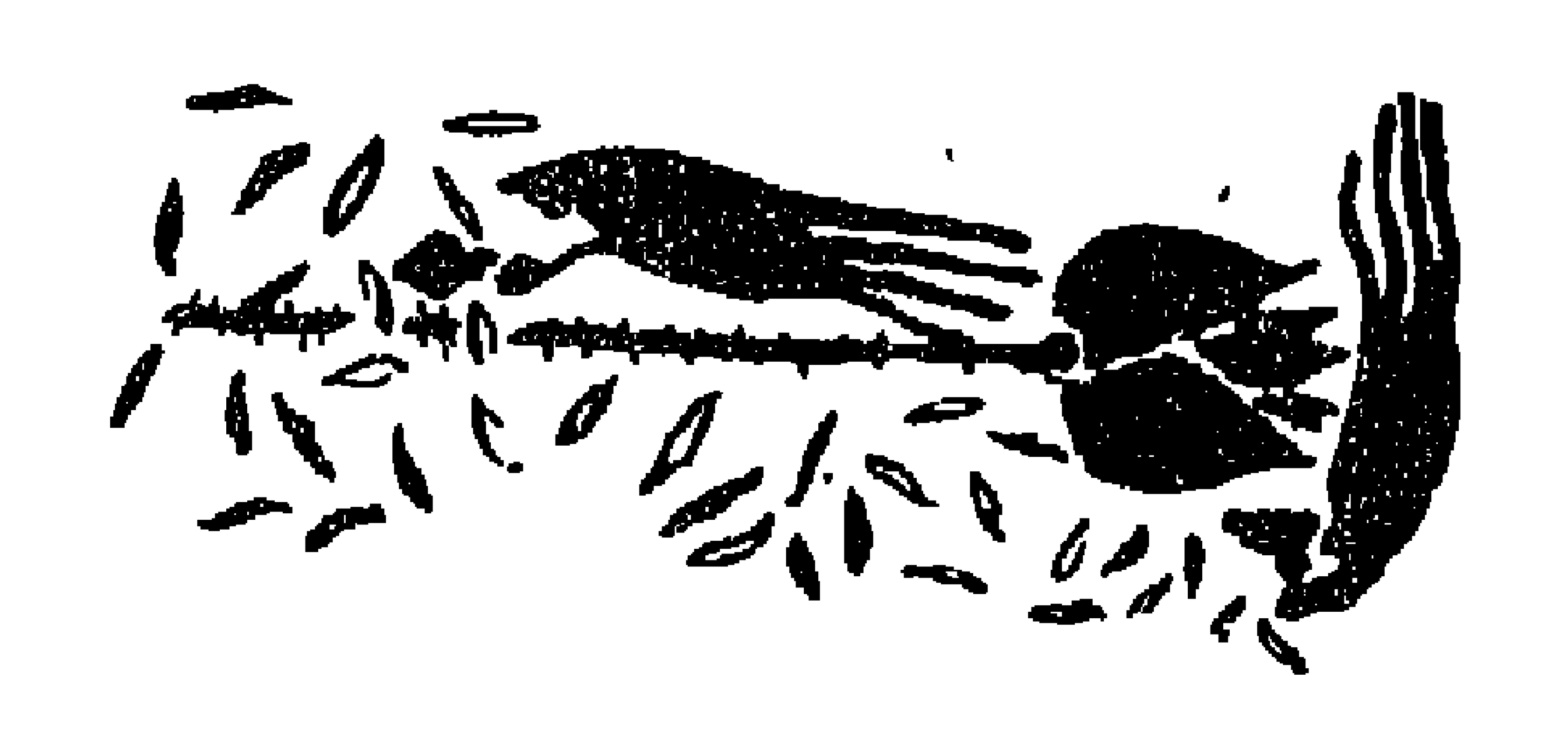
عجبى !!

يــومــى عــلــى الله تــنــتــهــى وتــغــيــب
الشمس . وتعــود تــانى يــوم لهــاليب
زى الحيــاة . مــأســاه . ومن كتــرهــا
بـقى لا انتهــاءهــا وابـتــداءهــا عجيب
عجبى !!



علم اللّوع اضـخم كـتـاب فى الأرض
بس الـلى يغـلط فيــه يـجيبــه الأرض
أمــا الــصــراحــة فــأمــرهــا ســاهــل
لكن لا تجلب مــال ولا تصــون عــرض
عجبى !!

أنـا كانلى أب . وكـان رئيس محكمة
ستين سنـة . فى قضية واحـدة اتـرمى
سـتيـن سنـة وطـلع بـراءة وخـرج
يشكى الحيـاة والمـوت لـرب الـسمـا
عجبى !!



قـالـوا ابـن آدم روح وبـدنـه كـفـن
قالوا لأ بدن . قالوا لأ ده روح فى بدن
رفـرف فؤادى مـع الـرايـات فى الهـوا
أنـا قلت لأ روح فى بـدن فى وطن
عجبى !!

رقم الإيداع ٩٦/٥٧٤٦
I. S. B. N 977-01-4808-3



مكتبة الأسرة



بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

